الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-

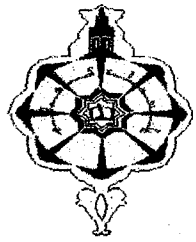

كلية الآداب و العلوم الانسانية
و العلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

سجل تحت عدد/ 2008
بتاريخ 14 نوفمبر 2008
المكتبة المركزية

مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الشعبي

الحلم و الحمى

في الأمثال الشعبية الجزائرية

-دراسة تحليلية-

من إعداد الطالب:
آية الله عاشوري

تحت إشراف
د. مصطفى أوشاطر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمد سعيدي: أستاذ التعليم العالي -جامعة تلمسان- رئيسا

د.مصطفى أوشاطر: أستاذ محاضر -جامعة تلمسان- مشرفا مقررا

أ.د. محمد بلوحي: أستاذ التعليم العالي -جامعة بلعباس- عضوا

د. شعيب مغنونيف: أستاذ محاضر -جامعة تلمسان- عضوا

د. محمد بن عمر : أستاذ محاضر -جامعة تلمسان- عضوا

السنة الجامعية

1428- 1429هـ/2007-2008م

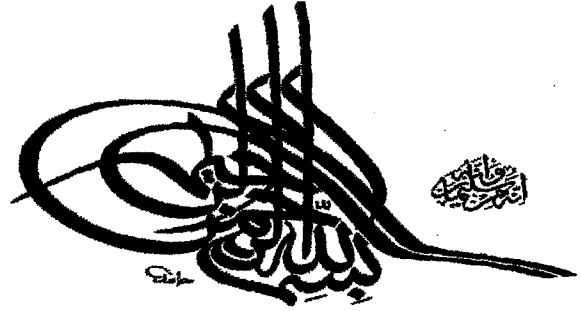

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾

سورة إبراهيم: الآيات: 24- 27

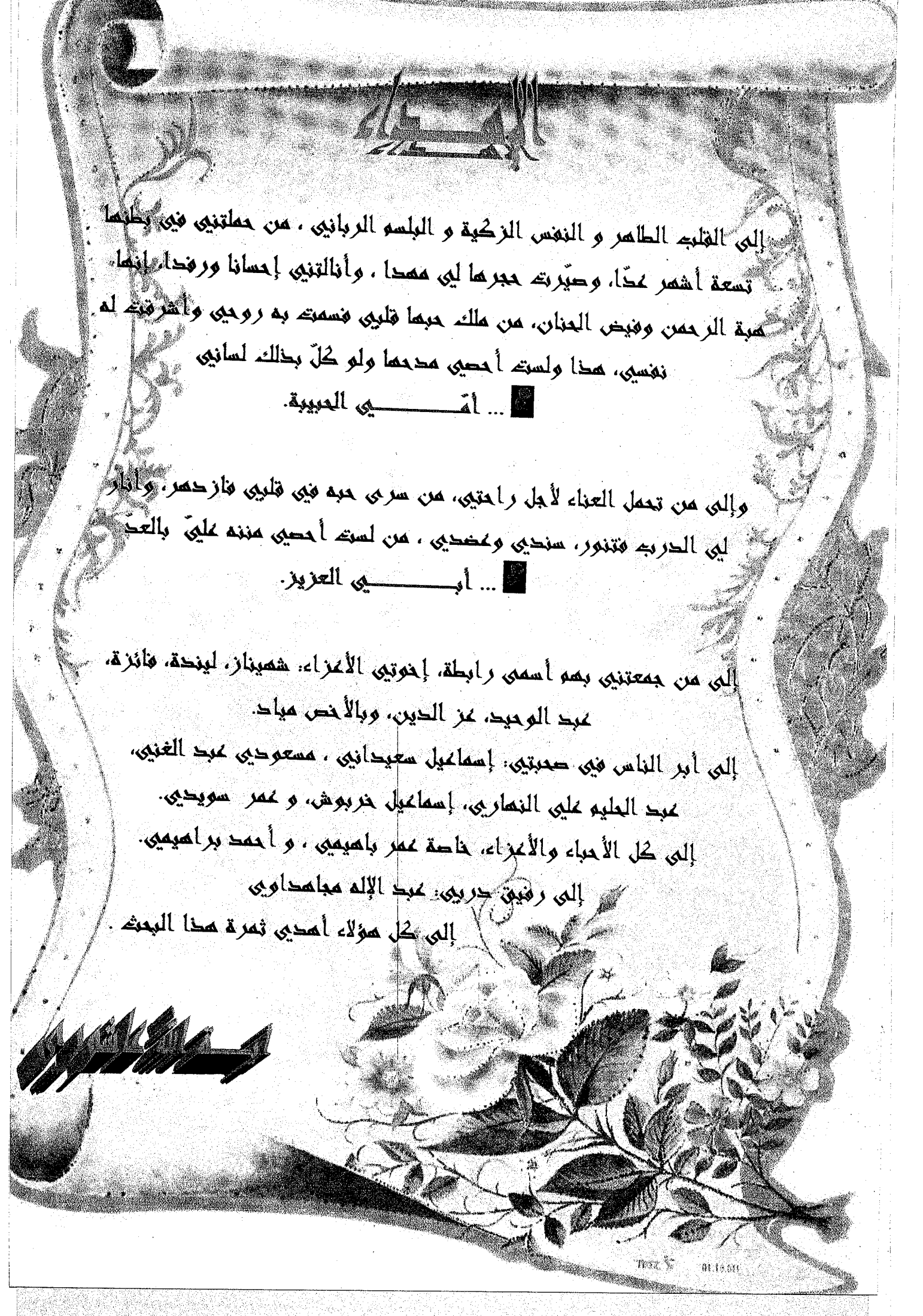

إلى القلب الطاهر و النفس الزكية و البلسم الرباني ، من حملتني في بطنها تسعة أشهر عدّا، وصيّرت حجرها لي مهدا ، وأنالتني إحسانا ورفدا، إنها هبة الرحمن وفيض الحنان، من ملك حبها قلبي فسمت به روحي وأشرقت له نفسي، هذا ولست أحصي مدحها ولو كلّ بذلك لساني

... أمّـــــي الحبيبة.

وإلى من تحمل العناء لأجل راحتي، من سرى حبه في قلبي فازدهر، وأثار لي الدرب فتنور، سندي وعضدي ، من لست أحصي منته عليّ بالعدّ

... أبـــــي العزيز.

إلى من جمعتني بهم أسمى رابطة، إخوتي الأعزاء: شهيناز، ليندة، فائزة، عبد الوحيد، عز الدين، وبالأخص ميلاد.

إلى أبر الناس في صحبتي: إسماعيل سعيداني ، مسعودي عبد الغني، عبد الحليم علي النهاري، إسماعيل خربوش، و عمر سويدي.

إلى كل الأحباء والأعزاء، خاصة عمر باهيمي ، و أحمد براهيمي.

إلى رفيق دربي: عبد الإله مجاهداوي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا البحث .

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله الّذي خلق الإنسان وكرّمه، فسوّاه فعدّله، في أيّ صورة ما شاء ركّبه، وعلّمه البيان فقدّمه به وفضّله، وبلسان مترجم عمّا حواه عقله وقلبه أمدّه، ثمّ السّبيل يسّره، ثمّ أماته فأقبره، ثمّ إذا شاء أنشره، فتبارك الله أحسن الخالقين.

والحمد لله القائم على كلّ نفس بما كسبت، الرّقيب على كلّ جارحة بما اجترحت، المطّلع على السّرائر والضّمائر إذا هجست، الّذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السّموات والأرض تحرّكت أو سكنت، فسبحان من عمّت نعمته كافّة المخلوقات وشملت، ووسعت رحمته كلّ شيء وغمرت.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [1]. وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[3]، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، النّعمة المهداة والرّحمة المسداة والسّراج المنير، أرسله الله بشيرا ونذيرا، فأنار به العقول وشرح به الصّدور؛ وفتح به أعينا عميا وآذانا صمّا وقلوبا غلفا، فصلّ اللّهمّ عليه وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا عدد ما ذكره الذّاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

إنّ الأمثال خلاصة لتجارب إنسانية طويلة؛ فهي صورة حقيقية لأحوال المجتمع المتداولة بين أفراده، ومن ثمّة فهي ألصق بالحياة الشّعبية، وأصدق أشكال التّعبير في تصوير حياة الأفراد في سائر مناحي حياتهم؛ وأنواع العلاقات القائمة بينهم، وهي أسير من كلّ قول؛ إنّها بحقّ صفوة الأقوال؛ وزبدة الكلام؛ وعصارة الأفكار؛ ونتيجة التّجارب؛ ووليدة

---

1 ــ سورة الزمر، الآية: 27

2 ــ سورة الحشر، الآية: 21

3 ــ سورة العنكبوت، الآية: 43

القرائح المجبولة على حسن صياغة الألفاظ؛ ومرآة للأحوال المعيشة؛ وصورة حقيقية للمبادئ والمعتقدات.

إنها أقوال تبلورت في العقل؛ فتدفقت بصفاء على الفكر؛ فاهتز لها القلب؛ ليترجمها عنه اللسان بإيجاز في اللفظ، وكثافة في المعنى؛ وقوة في اللغة؛ وفصاحة في البيان؛ وبلاغة في التصوير؛ فكانت زينة في الكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للأفهام، لها التأثير البليغ في النفوس، والموقع الحسن في الأسماع.

لقد تميزت الأمثال عن الشعر بالحفظ والبقاء، وشرفت عن الخطابة؛ فلم يسر ضرب من ضروب الكلام مسيرها؛ ولا عمّ عمومها؛ ولذلك ضرب الله عز وجل الأمثال في محكم التنزيل؛ وجعلها من دلائل رسله؛ وتخيرها العرب؛ وقدمتها العجم؛ ولن تجد ثقافة تخلو من الأمثال؛ فهي السجل الذي يحوي بين طياته حضارة المجتمع الإنساني بآماله وآلامه.

والأمثال وإن صغر حجمها؛ وقلت ألفاظها؛ إلا أنها تحوي بين جنباتها معان كثيفة؛ وحكما جليلة؛ لمواضيع عديدة؛ فهي البحر في أحشائه الدرّ يقتنيه كل من غاص في أعماقها، ومن تلك المواضيع التي حوتها الأمثال في أحسن عرض وأبلغ تصوير، موضوع اللسان، ذلك الجُرْمُ الصغير ذو الجَرْمِ العظيم، إنه أعصى الأعضاء على الإنسان، وأعظم آلة للشيطان، فهو غاية الطاعة والعصيان، ومخرج الطيب والخبيث من البيان؛ فشتان بين كلمة نال بها صاحبها الرضى من الله عز وجل والرضوان؛ فأدخل الجنان، وأخرى كانت سبب السخط من الله تعالى والحرمان؛ فساقت صاحبها إلى النيران.

وإذا فات المرء أن يزن كلمته التي ينطق بها؛ ولم يلجم فمه بلجام الحق والروية؛ فكم يترتب على ذلك من أخطاء وجراح ومشاكل؛ لذا وجب على كل مكلف أن يحفظ لسانه؛ ويزن كلامه؛ فلا يتكلم إلاّ إذا دعت الحاجة واقتضى المقام ذلك؛ وإلا فالصمت أولى؛ ولزوم الصمت إنما يكون عن هذر وفضول وما شابههما؛ وإلا فهو صمت مذموم؛ وجماع الأمر ألا ينطق المرء بباطل؛ ولا يسكت عن حق؛ فلا يتكلم إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة؛ ولا يصمت إلا عما يخشى غائلته في عاجله وآجله.

وكل ذلك تناولته الأمثال بدقة لغتها؛ ومحكم سبكها، فلهذا وغيره تبرز أهمية هذا الجنس الأدبي الذي صار محط أنظار الدارسين؛ وحظي بعناية الأدباء والمؤرخين والباحثين؛ سواء كان فصيحا أم عاميا؛ فكلاهما سجل فكري من العطاء البشري؛ وكل منهما يكتسي طابع الشعبية؛ باعتبار أن المثل يتصل بجذور الشعب.

فقد أفردت للأمثال كتب خاصة منذ القدم، ولعلّ أكبرها شأنا وأشهرها ذكرا (مجمع الأمثال) للميداني؛ فقد جمع في كتابه ما يزيد عن الستة آلاف مثل عربي فصيح.

أما في العصر الحديث فقد جمعت الأمثال بمختلف اللغات واللهجات في دواوين؛ فضلاً عن المجلات والدوريات والصحف التي لا يخلو عدد منها إلا وينشر بين طياته مثل أو أكثر؛ والأمثال الشعبية الجزائرية قد جمع بعضها في مصنفات نذكر منها: مصنف قادة بوتارن، والذي يحوي ما يزيد عن العشرة آلاف مثل؛ فقد وزع الأمثال وفق الحقول الدلالية لها، وقد رتبها في ستة أقسام ؛ مع شرح كل مثل شرحا موجزا؛ والأمثال التي أوردها هي تلك التي تداولها الناس في منطقة الجنوب الغربي، أما عبد الحميد بن هدوقة ومن خلال مصنفه (أمثال جزائرية) حاول جمع أكبر قدر من الأمثال المتداولة في قرية الحمراء غرب مدينة سطيف والتي قاربت الستمائة وأربعين مثلا مصنفا ومشروحا مع التعليق عليه، ورد الكثير منها إلى أصولها في التراث العربي الإسلامي. وقد حذا حذوه في جمع الأمثال رابح خدوسي في مصنفين: (موسوعة الأمثال الجزائرية) و(موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية).

ولما رأيت أن كثيرا من الناس قد خاضوا في كلامهم كل لغو ضائع وهذر ضار؛ فلا يستمدون حديثهم من وعي يقظ أو فكر عميق؛ وإن صمتوا فعن حق أو عيّ، متناسين أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق؛ والساكت عن الحق شيطان أخرس؛ ومن كان ذا عقل رشيد ورأي سديد قال خيرا أو صمت.

وقد تجد أكثر الناس غافلين عن منبع الموبقات؛ ألا وهو اللسان؛ الذي يردي صاحبه ويهلكه إن تغافل عنه وأهمله مرخي العنان، حينها يسلك به الشيطان في كل ميدان، فيسوقه إلى شفا جرف هار لينهار به في نار جهنم، فكل ما يصدر عن اللسان

فلصاحبه أو عليه، وكذا الصمت إن كان في محله وحينه فهو عبادة جزيلة الأجر؛ وإن كان في غير ذلك وجب الإعراض عنه.

ولما كانت الثقافة الشعبية الجزائرية تزخر بعطاء عميم وثراء عظيم من الأمثال؛ التي تعد بحق من ألطف صور التعبير التي يؤنس بظاهرها؛ ويعتبر بمضمونها لما فيها من حكم بليغة ومواعظ مؤثرة تهذب سلوك الإنسان وتريه عاقبة أموره، فيقلع حيث أخطأ ويثبت حيث أصاب.

فارتأيت أن أسلط الضوء على موضوع اللسان بين الكلام والصمت؛ وذلك بدراسة جملة من الأمثال الشعبية الجزائرية التي لها صلة بموضوع الدراسة، فحددت العنوان بـــ: **الكلام والصمت في الأمثال الشعبية الجزائرية – دراسة تحليلية–**.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على الإجراء التحليلي الوصفي الذي يهتم بتحليل الظاهرة ووصفها قصد كشف حقائقها وإبراز سماتها وتقريبها من الأفهام وإيضاحها بجلاء.

وقد واجهتني بعض المشاكل والعراقيل كما هو الشأن بالنسبة إلى كل باحث؛ لكنني سعيت جاهدا – ولله الفضل والمنة على ذلك–بغية اجتيازها، ولعل أبرزها قلة المصنفات التي جمعت الأمثال الشعبية الجزائرية؛ رغم ما تزخر به الثقافة الشعبية الجزائرية من كم هائل من الأمثال التي تنتظر من يحفظها من الضياع والزوال بالحفظ والجمع من خدمة التراث العريق والثقافة الأصيلة.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مدخل وفصلين وخاتمة؛ فأما المدخل فحاولت من خلاله تعريف المثل لغة واصطلاحا؛ مستعرضا في ذلك تعاريف العلماء العرب القدماء منهم والمحدثين الذين أضفوا عليه طابع الشعبية؛ وكذا تعاريف علماء الغرب له؛ وأما الفصل الأول فقد عرضت فيه تعاريف لغوية واصطلاحية لكل من اللسان والكلام والصمت؛ فتبيان خطورة الكلمة والدعوة إلى حفظ اللسان؛ ثم ذكر شروط الكلام؛ بالإضافة إلى أقسامه من كلام نافع وآخر ضار بصاحبه؛ لأستعرض بعد ذلك آراء وحجج من مدحوا الكلام وفضلوه على الصمت؛ وفي المقابل من مدحوا الصمت

وفضلوه على الكلام، وقد ختمت هذا الفصل بالتوفيق بين الكلام والصمت وتفاضل كل منها على الآخر. وقد خصصت الفصل الثاني لتناول الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بموضوع الكلام والصمت معتمدا في ذلك على ما جمع منها في التصانيف؛ فقدمتها مشكولة حتى تنطق بالشكل الصحيح؛ ثم حاولت تقريبها من الأفهام بتحليلها وشرحها والإشارة إلى مدلولها الأخلاقي والاجتماعي؛ مع ذكر أمثال مضارعة لها فصيحة كانت أو عامية؛ عربية أو أعجمية تبيانا للتداخل الثقافي والحضاري والمجتمعي بين مختلف الشعوب؛ مستشهدا في ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية؛ وما قاله الأدباء والبلغاء؛ ونظمه الشعراء؛ وأبدعه الحكماء، مما يزيد المعنى وضوحا وجلاء، ولما كان إدراج تلك الأمثال في باب من الأبواب أمرا عسيرا لتداخل موضوعاتها وانتمائها إلى أكثر من موضوع؛ حاولت شرح كل مثل شرحا مستقلا عن غيره؛ إلا في حال توافق أمثال شعبية جزائرية أخرى معه؛ فأدرجتها في سياق تحليله وشرحه. وفي الأخير أنهيت ما أقبلت عليه بخاتمة لخصت فيها ما تقدم عرضه وشرحه بذكر أهم النتائج المتوصل إليها.

تمت بعون الله يوم
الجمعة 11 ذو الحجة 1428 هجرية
الموافق لـ 21 ديسمبر 2007 ميلادية

آية الله عاشوري

المدخل

ماهية المثل

1. تعريف المثل لغة
2. تعريف المثل عند علماء العرب
    1.2. تعاريف القدماء
    2.2. تعاريف المحدثين
3. تعريف المثل عند علماء الغرب

1. تعريف المثل لغة:

المثل عند ابن منظور هو: «الشَّيْءُ الَّذِي يُضْرَبُ لِشَيْءٍ مَثَلاً فَيُجْعَلُ مِثْلَهُ...»[1]

أما الفيروز أبادي فقد أورد أن : «المَثَلُ مُحَرَّكَةُ الحُجَّةُ والحَدِيثُ، وقد مَثَّلَ بِهِ تَمْثِيلاً وامْتَثَلَهُ وتَمَثَّلَهُ وبِهِ... تَمَثَّلَ بِالشَّيءِ ضَرَبَهُ مَثَلاً.»[2]

وقد عرفه البستاني بقوله: «المَثَلُ محرّكة لغة في المثل الشّبه والنّظير — الصفة ج أمثال و — الشيء الذي يُضرب لشيء مثلا فيجعله مثله و — الحجة و — الحديث يقال: بَسَطَ لِي مَثَلاً — أي حديثا و — القول السائر و- العبرة ومنه:﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخَرِينَ﴾[3] أي عبرة يعتبرها المتأخرون و — الآية نحو﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[4] أي آية تدل على نبوته»[5].

ويقول الفراهيدي : «المَثَلُ الشَّيْءُ يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ فَيَجْعَلُهُ مِثْلَهُ.»[6]

ونجد المثل في المعجم الوسيط: «جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير، مثل (الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ) و (الزَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ) و — الأسطورة على لسان حيوان أو جماد كأمثال كليلة ودمنة. (ج) أمثال.»[7]

ويعرفه الزمخشري بقوله: «مِثْلُهُ ومَثِيلُهُ ومُمَاثِلُهُ، ومَثَّلَ بِهِ مُثْلَةً... ومَثَّلَهُ به: شَبَّهَهُ، وتَمَثَّلَ بِهِ: تَشَبَّهَ، ومَثَّلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: سَوَّى بِهِ وقَدَّرَ وتَقْدِيرُهُ.»[8]

1- الإمام العلامة ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1410هـ — 1990م، المجلد الحادي عشر، ص 611.

2 — الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت – لبنان، الجزء الرابع، ص49 وما بعدها.

3 — سورة الزخرف، الآية: 56.

4 — سورة الزخرف، الآية: 59.

5 — العلامة الشيخ عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1992، ص 1013.

6 — الفراهيدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الجزء الرابع، ص118.

7 — إبراهيم مصطفى. أحمد حسن زيات. حامد عبد القادر. محمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول — تركيا، الطبعة الثانية، سنة 1392هـ —1972م، الجزء الثاني، ص 854.

8 — الإمام العلامة الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1996م، ص417.

ويقول الميداني: «أربعة أحرف سمع فيها، فِعْلٌ و فَعَلٌ؛ وهي مِثْلٌ مَثَلٌ؛ وشِبْهٌ وشَبَهٌ؛ وبِدْلٌ وبَدَلٌ؛ ونِكْلٌ ونَكَلٌ، فمِثْلُ الشَّيْءِ ومَثَلُهُ شِبْهُهُ وشَبَهُهُ، ما يُمَاثِلُهُ ويُشَابِهُهُ قَدْرًا وَصِفَةً، فالمَثَلُ مَا يُمَثَّلُ بِهِ الشَّيْءُ: أي يُشْبِهُهُ... غير أنّ المِثْلَ لا يوضع في موضع هذا المَثَل؛ وإن كان المَثَلُ يوضع موضعه... فصار المثل اسما مصرحا لهذا الذي يضرب ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة؛ فيقال: مَثَلُكَ ومَثَلُ فُلَانٍ؛ أي صِفَتُكَ وصِفَتُهُ؛ ومنه قوله تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[1] أي صفتها؛ ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال: جَعَلْتُ زَيْدًا مَثَلاً؛ وَالقَوْمَ أَمْثَالاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾[2] جعل القوم أنفسهم مثلا في أحد القولين. والله أعلم.»[3]

وقال المبرد: «المَثَل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل في المَثَل التشبيه، يقال: مِثْلُهُ ومَثَلُهُ ومَثِيلُهُ أي شِبْهُهُ وشَبَهُهُ وشَبِيهُهُ.»[4].

ويقول ابن السكيت: « المَثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره.»[5]

وقال غيرهم: « سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول، مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب.»[6]

وقال القيرواني: « المَثل والمِثْلُ الشَّبِيهُ والنَّظِيرُ؛ وقيل: إنما سمي مَثَلاً لأنه مَاثِلٌ لخاطر الإنسان أبدا يتأسى به ويعظ ويأمر ويزجر... وقد يكون المَثَلُ بمعنى الصِّفَة؛ من ذلك قول الله تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[7] أي صفة الجنة، وقوله:﴿وَلَهُ الْمَثَلُ

---

1 ــ سورة محمد ، الآية: 16.

2 ــ سورة الأعراف، الآية: 177.

3 ــ الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ، مجمع الأمثال، تحقيق الدكتور جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ، 2002م، الجزء الأول، ص 70 وما بعدها.

4 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص69.

5 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص 70.

6 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص 70.

7 ــ سورة محمد، الآية: 16.

الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] الصفة العليا وهي قولنا لا إلـه إلا الله، وقولـه تعالى:﴿ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾[2] أي صفتهم.» [3].

2. تعريف المثل عند علماء العرب:

لقد حظي المثل باهتمام علماء العرب قديما وحديثا، لذا نجـد تعـاريف كـثيرة ومختلفة؛ ومنها نستعرض ما يلي:

1.2 تعاريف القدماء:

عرف ابن المقفع المثل بقوله: «إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنـق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.» [4]

وها هو ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) يصف الأمثال بأنها: «وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بهـا في كـل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابـة، لم يـسر شـيء مسيرها، ولا عم عمومها؛ حتى قيل أسير من مثل، وقال الشاعر:

مَا أَنْتَ إِلاَّ مَثَلٌ سَائِرُ يَعْرِفُهُ الجَاهِلُ وَالخَابِرُ

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه؛ وضربها رسول الله صـلى الله عليـه وسلم في كلامه.» [5].

ويقول أبو عبيد: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسـلام، وبهـا كانـت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح؛ فيجتمع

---

1 ــ سورة الروم الآية: 26.

2 ــ سورة الفتح، الآية: 29.

3 ــ القيرواني أبي علي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق وشرح الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنـان، الطبعة الأولى، سنة 1403هـ ــ1983م، الجزء الأول، ص195.

4 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص 70.

5 ــ ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر أحمد بن محمد ،كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمـين، أحمـد الزين. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، سنة 1402هـ – 1982م، الجزء الثالث، ص 63.

لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف»[1].

وقال الفارابي في كتابه (ديوان الأدب) حسبما أورده السيوطي في (المزهر): «المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة؛ أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة»[2].

ونقلا عن السيوطي يعرف المرزوقي المثل في كتابه (شرح الفصيح) على أنه: «جملة من القول مقتصبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها؛ وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها»[3].

ويشيد أبو هلال العسكري بالمثل وأثره قائلا: « رأيت حاجة الشريف إلى آداب اللسان؛ بعد سلامته من اللحن؛ كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والبدرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور؛ ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه... ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها؛ ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل على الاطناب؛ ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب.

---

1 ــ العلامة السيوطي عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد جاد المولى. علي محمد البجاوي . محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، د. ط.، د.ت، الجزء الأول، ص 486.

2 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص 486.

3 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص486 وما بعدها.

والأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه وبالغ في التماسه حتى أتقنه، وإنما يحتاج في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية وتقدم في الدّراية... وقد علم أن كل من لم يعن بها من الأدباء عناية تبلغه أقصى غايتها وأبعد نهايتها؛ كان منقرضا في الأدب غير تام الآلة فيه ولا موفور الحظ منه.» [1]

وقد لخص الزمخشري معنى المثل وأثره في كتابه (الكشاف) فقال: «ولضرب العرب الأمثال؛ واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيّل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه شاهد وفيه تسكيت للخصم الألد وقمع لثورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله»[2].

أما الخوارزمي فقد قال عن الأمثال في مقدمة كتابه (الأمثال): «هي قريب إلى الفهم؛ عذبة على اللسان، مقبولة في القلب، لا يجهلها العامة، ولا يتكبر عنها الخاصة، وأكثرها مرسلة لا يعرف أصحابها لإتيان الزمان على ذلك، ولأن كلام العرب لا تقيده الأفهام، ولا تشغل بتخليده الأقلام، ولا يجري في الضبط والرواية مجرى كلام العرب الذين حفظوا أنسابهم وقيدوا آدابهم، وعلموا أن الأمثال حكمتهم فوعوها...» [3].

وهكذا نستشف من تعريفات علماء العرب القدماء للمثل أنه عبارة موجزة قيلت في موقف حاسم؛ فأعجب بها الناس إما في إحكامها وإما بطباعتها وإما بلغتها وإما بقولها في التعبير وأداء المعنى أو غير ذلك؛ أو باجتماع كل هذه الصفات أو بعضها؛ فتداولتها الألسن واستشهد بها في مواقف مماثلة لما ضربت له؛ ومن ثمة شاعت وذاعت.

بالفعل لقد اشترط بعضهم الشيوع والذيوع بين الناس كصاحب العقد الفريد ابن عبد ربه الذي يرى أنه: (لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها؛ حتى قيل: أَسْيَرُ مِنْ

---

1 ــ الشيخ الأديب أبي هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية، د.ت، الجزء الأول،ص 15.

2 ــ الإمام العلامة الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، سنة 1947م، الجزء الرابع، ص 72

3 ــ الخوارزمي أبو بكر محمد بن العباس ، الأمثال، تحقيق محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، سنة 1993م، ص5.

مَثَلٍ)، والمرزوقي الذي يرى أيضا أنّها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، والفارابي الذي يعتقد أن الأمثال (ما ترضاه العامة والخاصة)، ولكن الشيوع والذيوع عندهم لا يعني سوى التداول بين طبقة معينة.

فالمثل تعبير عن حال من الحالات؛ أو تشخيص لموقف من المواقف؛ أحدثه فرد وأعجب به جمع فتداولوه فصار ملكا للمجتمع كلّه، يستشهد به الأفراد في كلامهم أو كتبهم، فيتحلى به القول وتتجمل به الكتابة.

2.2 تعاريف المحدثين:

لما كانت الأمثال فنا من الفنون الأدبية الشعبية، فإنها قد ألّمت بكل جوانب الحياة من حب وكراهية ومعاملة وأخلاق وغير ذلك مما يتعلق بالحياة وينبع عنها ويصب فيها؛ فمجالها واسع ونطاقها شاسع؛ وبها يعرف أخلاق الشعب وتعلم نظرته للحياة بناء على معتقداته وعاداته وتقاليده وتفكيره.

ولهذا اهتم بها المحدثون كما فعل القدماء؛ وسنورد بعض تعاريفهم فيما يلي:

يعرف أحمد أمين المثل قائلا: «الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية؛ ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني؛ فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب. وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي؛ يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة؛ لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها»[1].

أما رشدي صالح فقد عرف المثل بقوله: «إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي؛ ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية»[2].

---

1 ــ أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، لجنة التأليف والترجمة، سنة 1953م، الجزء الأول، ص61.

2 ــ أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة ــ مصر، سنة 1954م، ص6.

ويقول الأستاذ قادة بوتارن عن الأمثال في مقدمة كتابه (الأمثال الشعبية الجزائرية): «إنها جواهر قد حفظت من التلف باندساسها في ذاكرة الأجيال المتتالية؛ وهي كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها الملامح الخاصة بكل قوم؛ وذلك لأنها وليدة لظروف معينة؛ وبالتالي وليدة التاريخ والجغرافية والمناخ والتربية...إن خاصيتها الأساسية هي الإيجاز؛ فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فلسفة بل على فن الحياة، فإنها تعبر عما تكنه الشعوب في أعماق أنفسهم، ولذلك يكاد يعرف قائلوها من بين هذه الشعوب بمجرد الإطلاع على مضمونها وأسلوبها وطريقة التفكير فيها»[1].

ومن العلماء المحدثين يقول الدكتور يوسف عز الدين: « المثل هو الصورة الصادقة لحال الشعوب والأمم؛ ففيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر السنوات الطويلة من حضارتها؛ وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها؛ نجد في طياته مختلف التغييرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها بأساليب متنوعة وطرق متعددة كالسخرية اللاذعة والحكمة الرادعة»[2].

والمثل كما يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في النثر العربي): «هو فلسفة الحياة الأولى؛ وله في تاريخ الفكر أهمية؛ لا يدركه إلا من تعمق في دراسة نفسية الشعوب ودراسة التطور الفكري عند البشر»[3].

ويقول محمد أبو صوفة: «والمثل سواء أكان في معناه الظاهري المسجل للحدث أم بمعناه الباطني الذي يشتمل على الموعظة والحكمة؛ فإنه مظهر حضاري يتصل بجذور الشعب، فهو تراث العامة والخاصة، وهو واحد من أهم مكونات الشخصية الأدبية

---

1 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر، سنة 1987م، ص5.

2 ــ الدكتور محمد إسماعيل صيني. ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، سنة 1996م، المقدمة،ي.

3 ــ المرجع نفسه، المقدمة، ي.

العربية، وهو ملمح من ملامحها الأصيلة؛ وهو إلى هذا وذلك نهاية البلاغة في لغتها كما أنه دليل الحصافة والفهم؛ والأمثال مصابيح الأقوال»[1].

ويقول الدكتور عبد الباري محمد داود عن المثل: «...وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائمة؛ والشواهد بها واضحة؛ والنفوس بها واقعة؛ والقلوب بها واثقة؛ والعقول لها موافقة؛ فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز؛ وجعلها من دلائل رسله؛ وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة؛ وفي القلوب مقبولة؛ ولها أربعة شروط:

أحدها: صحة التشبيه، والثاني: أن يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا، والثالث: أن يسرع وصولها للفهم ويعجل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها و لا كد في استنباطها، والرابع: أن تناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثيرا وأحسن موقعا.

فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة كانت زينة للكلام؛ وجلاء للمعاني؛ وتدبرا للأفهام»[2].

ويقول سيمون إبراهيم حمصي: « إن صنع المثل على الرغم من عفويته يحتاج إلى نفس حساسة بارعة في صياغة اللفظ المطابق للشعور والفكرة في موقف ما ؛ فإذا لم تتيسر للمثل هذه الصفات مات لحظة ولادته؛ هذا والمثل الناجح في قصة ولادته يخرج من فم إنسان واحد ظريف حكيم لطيف محرق، ليصبح مثلا شعبيا بعد أن يقر الذوق العام (ذوق الشعب) ذلك المثل فيردده ويرويه... ولها سمات فنية لطيفة كالإيجاز والموسيقة والتنغيم والصنعة اللفظية المحببة المقبولة والتصوير المجسد للمعنى والحوار المحيي

1 ــ المرجع السابق، المقدمة،ي.

2 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، مركز الإسكندرية للكتاب، سنة 2002م، ص89.

للموضوع. فمما يدني الأمثال إلى القلب إيجازها، والمثل لحظة من نور تضيء لك فتدعك أمام دنيا من الأفكار في زمن وجيز»[1].

ويعرفها رابح خدوسي بقوله: «المثل الشعبي يعتبر صفوة الأقوال وعصارة الأفكار سبقتنا عبر التاريخ الإنساني؛ وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء، أجمع المتحدثون عن صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ومختلف ضروب الكلام»[2].

ويقول عنها في موقع آخر: «هي صورة واضحة عن تاريخ من العطاء البشري؛ وعن حياة أجيال وأجيال مليئة بالتجارب والخبرات بالأفراح والأقراح وأساليب الحياة المرتبطة بهما؛ وهي أيضا سجل يتضمن منظومة فكرية تحتوي على مجموعة قيم اجتماعية؛ تربوية؛ أخلاقية وسياسية... إلخ تفيد الباحثين والدارسين في استكشاف الماضي قصد استشاره في الحاضر والمستقبل.» [3]

ومن أهم التعاريف المعاصرة ما أوردته الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها (أشكال التعبير في الأدب الشعبي) حيث تقول: «المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية؛ يعايش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا»[4].

وتقول في موضع آخر : «إن صياغة المثل بدأت فردية قد نطق به فرد في زمان معين ومكان معين، وإذا مس المثل حس المستمعين له؛ فهو حينئذ بينهم وكأنه عبارة ذات أجنحة؛ وعندئذ يتعرض المثل للتحوير والتهذيب حتى يوضع في قالبه القانوني بوصفه مثلا شعبيا»[5].

---

1 ــ سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ــ سوريا، طبعة 1990م، ص 424 وما بعدها.

2 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية، دار الحضارة، الجزائر، سنة 1997م، ص 5.

3 ــ المرجع نفسه، ص 5.

4 ــ الدكتورة نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ذ.ت، ص 98.

5 ــ المرجع نفسه، ص140.

وبناء على تقدم نجد أن نظرة المحدثين إلى المثل قد أخذت صورة أشمل وأعم؛ محاولة منهم إلى ربطه بأخلاق الشعب وعاداته؛ ومزج الجانب الأدبي بالجانب الاجتماعي قصد الوصول إلى تعريف دقيق للمثل.

فالمثل عندهم ما نطق به الفرد فاستحسنه الناس ليصادف رواجا بين الألسن، فيشيع بينها ويذيع؛ أو هو ذلك القول الموجز المستوعب من حكمة الشعب؛ والمولود من البيئة الاجتماعية، معانيه مكثفة؛ وسبكه محكم؛ وتصويره بليغ، صاغة عقل فرد مجبول على صياغة الحكم والأمثال؛ ثم صادف رواجا عند سائر الناس؛ فتداولوه وتحدثوا به في مواقفهم المعيشية؛ بما فيها من مشاكل وتناقضات الحياة التي تنعكس على سلوكاتهم وأفعالهم خيرها وشرها.

ولما كان المثل تصوير للحياة الاجتماعية بجوانبها السلوكية والأخلاقية؛ ومرآة صادقة ومطابقة لما يعيشه الشعب من آمال وآلام اكتسى طابع الشعبية سواء كان فصيحا أو عاميا.

وعلى ذكر عامية المثل لابد من تبيان أن تلك السمة لا تعد مطعنا في بلاغة المثل ولا منقصة من قدراته التبليغية والتأثيرية؛ لأن الأذواق تحصل بكثرة استعمال لغة ما؛ وما تعارف عليه أفراد المجتمع من مصطلحات تبلغهم مقاصد الفهم ومراد الاستيعاب؛ فكل فرد مدرك لبلاغة لغته وذائق لمحاسن الكلام المتداول بين أفراد مجتمعه؛ ومن هنا كانت العامية في المثل الشعبي بلاغة وفصاحة.

3. تعريف المثل عند علماء الغرب:

تعرف دائرة المعارف الفرنسية لاروس المثل بأنه قول موجز؛ مصيب للمعنى، شائع الاستعمال ووليد التجربة الشعبية[1].

أما دائرة المعارف الأمريكية فترى أن المثل جملة قصيرة؛ مصيبة للمعنى، تخبرنا بدقة عن حقيقة الأمور اليومية المتولدة في المجتمع بأسلوب عامي لتلقى رواجا فتشيع عبر الأجيال. [2]

في حين تعرف دائرة المعارف البريطانية المثل بأنه عبارة موجزة ابتدعها الشعب، مصيبة للمعنى، ومصورة للواقع المعيش؛ شائعة الاستعمال[3].

ومما يلفت انتباهنا هو توافق دوائر المعارف الغربية في تعريفها للمثل إلى حد بعيد؛ فقد وصفته بالإيجار وإصابة المعنى، والشيوع، مع إضفاء صفة الشعبية له بنسبته إلى الإبداع الشعبي، بالإضافة إلى التجربة الشعبية.

وقد عرف علماء الغرب المثل؛ وسنورد بعضها فيما يأتي:

يعرفه آرثر تايلور بقوله: «المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يعمل أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع»[4].

ويقول أرسطو: «المثل هو العبارة التي تتصف بالشيوع والإيجاز؛ ووحدة المعنى وصحته»[5].

كما عرفه سوكولف بأنه: «جملة قصيرة صورها شائعة تجري سهلة في لغة كل يوم، أسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية»[6].

---

1 ــ دائرة المعارف الفرنسية لاروس .Encyclopédique Larousse; librairie Larousse; 1979; p 1152

2 ــ دائرة المعارف الأمريكية The Encyclopédia American; 1956; Vol 22; p 705

3 ــ دائرة المعارف البريطانية Encyclopédia Britanica; 1966; vol 18; p 687

4 ــ د. محمد إسماعيل صيني. ناصف مصطفى عبد العزيز. مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، المقدمة، ط.

5 ــ المرجع نفسه، المقدمة، ط.

6 ــ أحمد رشيدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ص335.

ويقول سرفانتس: «الأمثال حكم قصيرة مستقاة من تجربة طويلة، لعلها تجربة شعوب بأسرها منذ أقدم العصور»[1].

ويعرفه ريفارول بقوله: «الأمثال خبرة الشعوب، ونتيجة التفكير السليم، اختزلت إلى صيغة مصغرة»[2].

وعنه يقول جون راسل: «المثل ذكاء فرد وحكمة الجميع»[3].

فالملاحظة من هذه التعريفات أنها تشمل نظرة أخرى للمثل غير تلك الصورة التي رسمها العرب له بتعريفاتهم، فالمثل عند علماء الغرب جملة موجزة، مصيبة للمعنى، وشائعة الاستعمال؛ مع عدّ المثل مضمونا اجتماعيا قبل عدّه مضمونا أدبيا، وقد أضفوا عليه سمة الشعبية كونه نتاج تجربة الشوارع؛ كما يتداول في إنجلترا : (الأمثال حكمة الشوارع)[4]؛ و(الأمثال ولائد التجربة)[5]؛ وما هو شائع في السويد:(تتكلم الأمثال عما تفكر به الشعوب)[6].

1 ــ د. روحي البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة 2001م، ص 551.

2 ــ المرجع نفسه، ص 551.

3 ــ المرجع نفسه، ص 551.

4 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، دار الحضارة للتأليف والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1995م، ص 230.

5 ــ المرجع نفسه، ص 230.

6 ــ المرجع نفسه، ص 230.

جامعة تلمسان كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية المكتبة

الفصل الأول

جارحة اللسان بين الكلام والصمت

1. تعريف جارحة اللسان
   1.1 لغة
   2.1 اصطلاحا
2. تعريف الكلام
   1.2 لغة
   2.2 اصطلاحا
3. تعريف الصمت
   1.3 لغة
   2.3 اصطلاحا
4. خطورة الكلمة والدعوة إلى حفظ اللسان
5. شروط الكلام
6. أقسام الكلام
   1.6 الكلام النافع
   2.6 الكلام الضار
7. مدح الكلام وفضله على الصمت
8. مدح الصمت وفضله على الكلام
9. بين الكلام والصمت

1. تعريف جارحة اللسان:

1.1 لغة:

جاء في لسان العرب مادة (لسن) : «اللِّسَانُ: جَارِحَةُ الكَلَامِ، وقد يُكَنَّى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ... ابن سيده: واللِّسَانُ المِقْوَلُ؛ يذكر ويؤنث؛ والجمع أَلْسِنَةٌ فيمن ذكّر مثل حِمَارٌ وأَحْمِرَةٌ، وأَلْسُنٌ فيمن أنّث مثل ذِرَاعٌ وأَذْرُعٌ، لأن ذلك قياس على ما جاء على فِعَال من المذكّر والمؤنّث، وإن أردت باللسان اللغة أنثت، يقال؛ فلان يتكلم بلسان قومه. قال اللحياني: اللِّسان في الكلام يذكر ويؤنث..» [1]

وجاء في القاموس المحيط فصل اللام باب النون: «(اللسان) المِقْوَلُ ويؤنث ج أَلْسِنَةٌ وأَلْسُنٌ ولُسُنٌ واللغة والرسالة والمتكلم، عن قومه» [2].

2.1 اصطلاحا:

قال تعالى:﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[3] واللسان من أعظم نعم الله على الإنسان؛ تلك الكتلة اللحمية المتحركة بواسطة العصب والعضلات في وسط الفم؛ فاللسان آية سبحان مبدعها وصانعها.

إن اللسان مخلوق صغير؛ يعبر به الإنسان عن بغيته ويفصح عن مشاعره؛ به يطلب حاجته؛ ويدافع عن نفسه؛ ويعبّر عن مكنون فؤاده؛ يحادث جليسه ويؤانس رفيقه؛ فهو الترجمان الذي يعبر عن مستودعات الضمائر؛ ويخبر عن مكنونات السرائر.

وقد تكرر ذكر اللسان في القرآن الكريم 25 مرة حيث ورد: 7 مرات بلفظ (لسان)، و6 مرات بلفظ (ألسنتهم)، و 3مرات بلفظ (لسانا)، و 3مرات بلفظ (لسانك)، و3 مرات بلفظ (ألسنتكم)، ومرتين بلفظ (لساني)، ومرة واحدة بلفظ (ألسنة) وقد استعمل اللسان في القرآن الكريم لأربعة معان:

---

1 ــ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، ص 385 وما بعدها.

2 ــ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 4 ، ص 268.

3 ــ سورة إبراهيم، الآية: 34.

الأولى: اعتبار اللسان أحد الحواس، الثانية: عضو التكلم، الثالثة: وسيلة لنقل الأفكار، الرابعة: طريق الذكر الحسن، وفي المعنى الأخير يقرن بكلمة (صدق) أي يقصد به لسان صدق[1].

وقد فصل في تعريف اللسان العلامة أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) فأورد فيه أن اللسان: «من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم، خالق أو مخلوق، متخيل أو معلوم، مظنون أو موهوم، إلا واللسان يتناوله، ويتعرض له بإثبات أو نفي... واللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب»[2].

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال: اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن ضمير، وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق يردّ به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الحقائق، ومعز ينفى به الحزن، ومؤنس تذهب به الوحشة، وواعظ ينهي عن القبيح، ومزين يدعو إلى الحسن، وزارع يزرع المودة، وحاصد يستأصل الضغينة، وماله يونق الأسماع[3].

2. تعريف الكلام:

1.2 لغة:

جاء في لسان العرب، مادة (كلم): «كَالَمَه: نَاطَقَهُ، وكَلِيمُكَ: الذي يُكَالِمُكَ، وفي التذهيب: الذي تُكَلِّمُه ويُكَلِّمُكَ، يقال: كَلَّمْتُهُ تَكْلِيمًا وكِلاَّمًا؛ مثل كَذَّبْتُهُ تَكْذِيبًا وكِذَّابًا، وتَكَلَّمْتُ كَلِمَةً وبِكَلِمَةٍ، ومَا أَجِدُ مُتَكَلَّمًا؛ بفتح اللاّم؛ أي مَوْضِعَ كَلاَمٍ،

1 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، سنة 2001م، ص24.

2 ــ العلامة محمد أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، وبهامشه تخريج الإمام الحافظ العراقي وبذيلة كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء للإمام الغزالي وكتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للشيخ العيدروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1411هـ، 1991م، الجزء الثالث، ص248.

3 ــ الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ذ .ط، د.ت، الجزء الثاني، ص75.

وكَالَمْتُهُ إذا حَادثْتُهُ، وتَكَالَّمْنَا بعد التّهاجر، ويقال: كان متصارمين فأصبحا يتَكَالَمَان؛ ولا تقل يَتَكَلَّمَان.

ابن سيده: تَكَالَمَ المتقاطعان؛ كَلَّمَ كلّ واحد منهما صاحبه؛ ولا يقال تَكَلَّمَا.

ورَجُلٌ تِكْلَامٌ وتِكْلَامَةٌ وكِلِّمَانِي؛ جيِّد الكلام فصيح حسن الكلام مِنْطِيقٌ. وقال ثعلب: رجل كِلِّمَانِي: كثير الكلام فعبر عنه بالكثرة، فقال: والأنثى: كِلِّمَانِيَة» [1].

وجاء في القاموس المحيط، فصل الكاف؛ باب الميم: «(الكلام) القول أو ما كان مكتفيا بنفسه... والكلمة اللفظية والقصيدة... ورجل تِكْلَامَه وتِكْلَام وتشدّد لامهما... وكِلِّمَّانِي بكسرتين مشدّدة اللام وبكسرتين مشدّدة الميم ولا نظير لهما؛ جيّد الكلام فصيحه أو كلماني كثير الكلام» [2].

2.2 اصطلاحا:

قال الجاحظ: «البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع لحقيقة» [3].

فالكلام نعمة من الله عز وجل، أنعم بها على الإنسان، يقول محمد كشاش: «الكلام والبيان سمتا الإنسان وخصوصيتاه اللتان يمتاز بهما عن سواه من المخلوقات، ولولا نعمة البيان لتساوى الإنسان مع بقية الموجودات» [4].

ويقول في موضع آخر: «... والكلام قدرة مخلوقة في الإنسان، يستطيع بواسطتها الاتصال بالآخرين» [5].

---

1 ــ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 12، ص524.

2 ــ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص 174

3 ــ الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص76.

4 ــ محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة ــ رؤية لغوية إكلينيكية وانعكاساتها الاجتماعية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ــ بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ - 1998م، ص 28.

5 ــ المرجع نفسه، ص 130.

3. تعريف الصمت:

1.3 لغة:

جاء في لسان العرب، مادة (صمت): «صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتًا وصُمْتًا وصُمُوتًا وصُمَاتًا وأَصْمَتَ: أطال السكوت، ورجل صِمِّيتٌ أي سِكِّيتٌ، والاسم من صمت: الصُّمْتَة. اللّيثُ: الصَّمْتُ السُّكُوتُ، وقد أَخَذَهُ الصُّمَاتُ، ويقال الرجل إذا اعْتَقَل لسانه فلم يتكلم: أَصْمَت فهو مُصْمِتٌ» [1].

وجاء في القاموس المحيط؛ فصل الشين والصاد باب التاء: (الصّمت): «الصَّمْتُ والصُّمُوتُ والصُّمَاتُ السُّكُوتُ كالإصمات والتّصميت، ورَمَاهُ بصُمَاتِه أي بما صمت به وأصْمَتَه وصَمَّتَه أَسْكَتَهُ ... والصَّمِّيتُ السِّكِّيتُ (زنة ومعنى) » [2].

2.3 اصطلاحا:

يقول الدكتور محمد داود عبد الباري: «يُعَدُّ الصَّمْتُ طريقا إلى الصحة النفسية، والكمال الأخلاقي والإنساني... والصمت قدرة، والقدرة من الحكمة... والصمت هو مخالفة للنفس التي تتطلب شهوة الكلام، فهو نجاة من الهوى، وفوائده عديدة... فالصمت آية من آيات الله، وحكمة من حكمه... وهو نوع من الرياضيات الكبرى لأنه مخالفة للنفس، ورعاية لها من الوقوع في براثن الشيطان، كما أنه ترويض لجنوحها وتهذيب لأخلاقها» [3].

والصمت نوعان: صمت باللسان عن الحديث لغير الله، وصمت بالقلب عن كل خاطر يخطر له في النفس، ويمكن تقسيم الصمت إلى قسمين: صمت بالظاهر، وصمت بالقلب والضمائر [4].

---

1 ــ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، ص54 وما بعدها.

2 ــ الفيروزي آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 157 وما بعدها.

3 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص. ص 145. 147.

4 ــ انظر، المرجع نفسه، ص128.

4. خطورة الكلمة والدعوة إلى حفظ اللسان:

إن الكلمة هي تلك الحروف والأصوات، التي تنطق بها الألسن، وتتحرك بها الشفاه، لكنها كلمة وكلمة، فكم من كلمة أفرحت وأخرى أحزنت، وكم من كلمة فرقت وأخرى جمعت، وكم من كلمة أقامت وغيرها هدمت، وكم من كلمة أضحكت وأخرى أبكت، فكم من كلمة انشرح لها الصدر وأنس بها الفؤاد وأحس بسببها سعة الدنيا، وأخرى انقبضت لها النفس واستوحشها القلب؛ وألقت قائلها أو سامعها في ضيق أو ضنك، فضاقت الدنيا على رحبها والأرض على سعتها، فكم من كلمة واست جروحا؛ وأخرى نكأت وأحدثت حروقا.

وقد ضرب الله عز وجل مثلا في كتابه مبينا فيه أهمية الكلمة سواء كانت طيبة أم باطلة، قال الله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ، اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ، يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

فالكلمة إما طيبة كشجرة وارفة الظلال ممتدة الأفنان في كل اتجاه؛ تحمل من ألوان الثمر الشهي والزهر الندي ما يوجد في كل أنواع الشجر من حلو الطعم وطيب المذاق وبهي المنظر؛ فتلك هي الصورة الجميلة التي رسمت لها في القرآن الكريم؛ ونجد في مقابل هذا صورة الكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة لا أصل لها ولا قرار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

---

1 ــ سورة إبراهيم، الآيات: 26 ــ 29.

2 ــ سورة ق، الآيات: 15 ــ 18.

في هذه الآية تذكير للمؤمن برقابة الله عز وجل التي لا تتركه لحظة من اللحظات؛ ولا تعقل عنه في حال من الأحوال؛ حتى فيما يصدر عنه من أقوال؛ وما يخرج من فمه من كلمات، فكل قول محسوب له أو عليه؛ وكل كلمة مرصودة في سجل أعماله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» متفق عليه. ومعنى "يتبين" يفكر أهما خير أم لا[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ بِهَا اللهُ دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.» رواه البخاري[2].

وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا، سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» رواه مالك في الموطأ والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3].

فينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ؛ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ

1 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محقق على منهج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مشتملة على تعليقات الشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه وعلق عليه محمود بن الجميل، راجعه طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1425 هـ - 2004م، الحديث رقم 1522، ص 371.

2 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1523، ص 372.

3 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1524، ص 372.

الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، ثم قال: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» ثم تلا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ، حتى بلغ يَعْمَلُونَ[1]. ثم قال: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ؟» قلت بلى يا رسول الله، قال: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ» ثم قال: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ!» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قلت: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[2].

وهنا يقول ابن رجب الحنبلي في (جامع العلوم والحكم): «المراد بحصائد الألسنة: جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات؛ ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرا من قول أو عمل حصد الندامة!!» [3].

فاللسان نعمة امتن الله بها على الإنسان، وهذه النعمة سلاح ذو حدين، إن استعمل في الخير كان سببا لرضوان الله؛ وإن استعمل في الشر كان سببا لسخط الله.

فليحذر الإنسان من لسانه وليعمل جاهد أن يكون لسانه قائده إلى الجنة وموصله إلى رضوان الله؛ فإن كل ما يقول محسوب؛ إما له أو عليه؛ وعليه يجب مراقبته للفظاته وحفظها.

بقول الإمام ابن قيم الجوزية: «وأما اللفظات فحفظها بأن لا يخرج كلمة ضائعة، بل لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه؛ فإن أراد أن يتكلم بالكلمة نظر؛

---

1 ــ قال تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} [سورة السجدة، الآيتان: 16 ، 17].

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1530، ص 373.

3 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، ص 102.

هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها؛ وإن كان فيها ربح نظر؛ هل تفوته بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه»[1].

5. شروط الكلام:

يحدد الماوردي شروطا أربعة لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بمراعاتها؛ ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها وهي:

أولا: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه اجتلا بالنفع أو دفع لضرر؛ والكلام الذي لا داعي له هذيان؛ وما سبب له فهو هجر؛ والسكوت عنه أسلم...

ثانيا: أن يأتي الكلام في موضعه، فالكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع بـــه، فإن قدّم ما يقتضي للتأخير كان عجلة، وإن أخّر ما يقتضي التقديم كان توانيا وعجـــزا، لأن لكلّ مقام قولا...

ثالثا: أن يكون الكلام على قدر الحاجة فإن الكلام إن لم ينحصر في الحاجة؛ ولم يقدر بالكفاية؛ لم يكن لحّده غاية، ولا لقدره نهاية...

قال ابن منصور: أنذركم فضول المنطق... وحدّ قدر الحاجة في الكلام أمـــران؛ تقصير يكون حصرا؛ أو تكثير يكون هذرا؛ وكلاهما شين وإن كان أهذر أبشع...

رابعا: وجوب اختيار اللفظ؛ فاللسان عنوان الإنسان يترجم عن مجهوله، ويـــبرهن عن محصوله، فيلزم أن يكون بتهذيب لفظه حريا؛ وبتقويم لسانه مليا... [2].

فالمتكلم قد يضيع قصده بين حطام الكلام فيأتي كلامه وبالا عليه ومردود إليـــه، إلاّ إذا أحاطه بما يلي:

- الكف عن الثرثرة وتجنب الهذر في الكلام.
- تجنب فضول الكلام والخوض في الباطل.
- تنوع الكلام ومرونته ـــ لفظا وجملة وأسلوبا وإيقاعا ـــ بحسب مقتـــضى المقام.

---

1 ـــ الإمام ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، د،ط، د.ت، ص167.

2 ـــ الدكتور عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، ص.ص 26.24.

- التنبه إلى فلتات اللسان بالتأني في التلفظ؛ والتروي في اختيار الكلام.
- عدم الصخب في القول ورفع الصوت من غير حاجة.
- التزام حسن الكلام وترك الفاحش منه.
- الاهتمام بدقة معنى اللفظة وحسن استعمالها في صائب معناها[1].

6. أقسام الكلام

إن إطلاق اللسان قد يحمد في مواطن وقد يذم في أخرى، وليس ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى عائلته في عاجله وآجله.

فأدب الكلام يعتبر علما مفروضا على كل مسلم ومسلمة فرض عين، لما يترتب على ذلك من أثار بناءة أو مدمرة في حياة الفرد والأسرة والمجتمع.

فليحرص كل مكلف كل الحرص على أن يكون كلامه نافعا حتى يسلم من غضب الله وعقوبته، وليعلم أن الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة مخرجهما واحد؛ فهل يعقل أن يستبدل عاقل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

1.6 الكلام النافع:

قال الله تعالى:﴿قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[2].

وقال تعالى:﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه[4].

---

1 – انظر، د. محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة، ص.ص 137. 142

2 ــ سورة الإسراء، الآية: 53.

3 ــ سورة النساء، الآية: 114.

4 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم1519، ص 371.

إن أهل الصراط المستقيم والمنهج القويم هم الذين كفّوا ألسنتهم عن الباطل؛ وصانوها عن كل كلام شكّ في ظهور مصلحته، وأطلقوها حيث يرون أنه النفع لهم ولغيرهم، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة ضائعة لا طائل من ورائها، ولا نفع يرتجى منها فضلا عن مضرتها الأخروية، فما من قول إلا لديه رقيب عتيد، فيكتب في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وممّا سبق يجدر بكلّ مكلف أن يكون كلامه نافعا له في دنياه وأخراه، وأن يكون خيرا لذاته ولغيره؛ وذلك الفوز المبين.

1.1.6 قراءة القرآن:

قال الله تعالى:﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[1]. وقال تعالى:﴿اُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[2]. وقال تعالى:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[3]. وقال تعالى:﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[5].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» رواه مسلم[6].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» متفق عليه[7].

---

1 ــ سورة النمل، الآيتان: 91، 92

2 ــ سورة العنكبوت: الآية: 45

3 ــ سورة الكهف، الآية: 27.

4 ــ سورة المزمل، الآية 4.

5 ــ سورة المزمل، الآية: 20.

6 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 998، ص 277.

7 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1001، ص 277.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: ألٓمٓ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اِقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[2].

يقول عبد الحميد مهدي عن فضل قراءة القرآن وتلاوته: «إن قراءة القرآن خاشعة متدبرة، وتلاوته تلاوة محكمة مرتلة تضفي على النفس سكينة وعلى القلب طمأنينة فينساب الإيمان إلى الأعماق انسيابا فتزكو الروح وتتصفى وتطهر وإنه لمقام كريم لا يعرف قيمته إلاّ المتقون الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته فيخصصون له أوقاتا من ليلهم ونهارهم يدّخرونها ليوم تخشع فيه القلوب والأبصار»[3].

ولقراءة القرآن آدابا يجب على القارئ والسامع أن يراعيها؛ تذكر منها:

أ. وجوب طهارة الجسم واللباس والمكان، ويستحب الوضوء إذا كانت القراءة من المصحف الشريف.

ب. أن يبتدئ القراءة بالتعوذ، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[4].

ج. التدبر في معانيه؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[5].

---

1 ــ المصدر السابق، الحديث رقم 1006، ص 278.

2 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1008، ص 278.

3 ــ عبد الحميد مهدي، أمة القرآن، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ــ الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1403هـ ــ 1983م، ص 137 وما بعدها.

4 ــ سورة النحل، الآية: 98.

5 ــ سورة محمد، الآية: 24.

د. أما المستمع فينبغي له الاستماع بأذنيه والإنصات بقلبه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]. وذلك موجب للتوقير والاحترام[2].

2.1.6 ذكر الله عز وجل:

قال الله تعالى:﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[3]. وقال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[4]. وقال تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[5]. وقال تعالى:﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[6]. وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[7].

عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» رواه مسلم[8].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ» رواه مسلم[9].

---

1 ــ سورة الأعراف، الآية: 104.

2 ــ انظر سيد أحمد عداد، أحكام القرآن الكريم وتاريخه، مطبعة الفن، وهران ــ الجزائر، ص6. وعبد الحميد مهدي، أمة القرآن، ص. ص 155. 161

3 ــ سورة البقرة، الآية: 152.

4 ــ سورة آل عمران، الآيتان: 190، 191.

5 ــ سورة الأعراف، الآية: 205.

6 ــ سورة العنكبوت، الآية: 45.

7 ــ سورة الجمعة، الآيتان: 41، 42.

8 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الحديث رقم 1417، ص348.

9 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1420، ص 349.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُر ،مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» متفق عليه[2].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: وما المفرّدون يا رسول الله؟ قال:«الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» رواه مسلم[3].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» قالوا: بلى، قال: «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى» رواه الترمذي، وقال الحاكم أبو عبد الله: إسناده صحيح[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه. رواه مسلم[6].

قال ابن العثيمين ــ رحمة الله عليه ــ: «الأَذْكَارُ: جمع ذِكْر والمراد بذلك ذِكْرُ الله عزّ وجلّ... ولْيُعْلَمْ أنّ ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون

1 ــ المصدر السابق، الحديث رقم 1442، ص 353.
2 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1443، ص 353.
3 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1444، ص 353.
4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1446، ص 353.
5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1449، ص 354.
6 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1452، ص 355.

بالجوارح... لكن يطلق عرفا على ذكر الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل»[1].

فذكر الله له الأثر العجيب؛ به تسمو الأرواح، وتهدأ النفوس، وتطمئن القلوب، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2].

فليس بعد تلاوة القرآن عبادة تؤدّى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى، وكفى بالذاكر شرفا ورفعة وسموّا أن الله يكون مع الذاكرين، فعن أبي هريرة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يقول: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ» رواه أحمد وابن ماجه والحاكم يسند صحيح[3].

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها[4].

والاجتماع على ذكر الله تعالى له الفضل العظيم، فعن أبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.» رواه مسلم[5].

3.1.6 الدعاء:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[6].

وقال تعالى:﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[7].

---

1 ـــ الشيخ محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، خرج أحاديثه وعلق عليه الحافظ بن حجر والهيثمي والشيخين، الألباني والأرناؤوط، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ، 2004م، الجزء الثاني، ص493.

2 ـــ سورة الرعد، الآية: 128.

3 ـــ الإمام نور الدين القاري الحافظ أبي الحسن ، الأربعون القدسية، تحقيق طارق الطنطاوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، سنة 1996، ص 105 وما بعدها.

4 ـــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص 392.

5 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1456، ص 356.

6 ـــ سورة البقرة، الآية: 186.

7 ـــ سورة الأعراف، الآية: 55.

وقال تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» رواه أبو داود والترمذي[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ» رواه مسلم[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» متفق عليه[4].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الدّعاء أسمع؟ قال: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، ودُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[5].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ» فقال رجل من القوم: إذا نكثر قال: «اللهُ أَكْثَرُ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد وزاد فيه: «أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا» [6].

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «الدعوات جمع دعوة، وهي دعوة الإنسان ربه عز وجل، يقول: يا رب، يارب. وما أشبه ذلك، يسأل الله تعالى أن يعطيه ما يريد، وأن يكشف عنه ما لا يريد... والمراد بالدعاء هنا دعاء العبادة ودعاء المسألة، أما دعاء العبادة فهو أن يقوم الإنسان بعبادة الله لأن القائم بعبادة الله لو سألته: لماذا

---

1 ــ سورة غافر، الآية: 60.

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الحديث رقم1473، ص360.

3 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1502، ص 365.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1507، ص 365.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1508، ص 365.

6 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1509، ص 366.

أقمت الصلاة؟ لم أتيت الزكاة؟ لماذا صُمت؟ لماذا حججت؟ لماذا جاهدت؟ لماذا بررت الوالدين؟ لماذا وصلت الرحم؟؟ لقال: أريد بذلك رضا الله عز وجل وهذه عبادة منتظمة الدعاء. أمّا دعاء المسألة فهو أن تسأل الله الشيء فتقول: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب ارزقني. وما أشبه ذلك... وهو عبادة لما فيه من صفة التوجه إلى الله عز وجل والاعتراف بفضله... والاستجابة في دعاء العبادة هي: قبولها، والاستجابة في دعاء المسألة: إعطاء الإنسان مسألة، وهذا وعد من الله تعالى» [1].

لكن لابد من شروط لإجابة الدعاء: أولا الإخلاص، ثانيا أن يخلو الدعاء من عدوان، ثالثا ألا يكون دعاء تجربة بل يجب اليقين بالإجابة، رابعا أن يجتنب الحرام فإنّ الله لا يقبل إلا طيّبا[2].

4.1.6 الحمد والشكر:

قال الله تعالى:﴿ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[3]. وقال تعالى:﴿ وَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ﴾[4]. وقال تعالى:﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[5]. وقال تعالى:﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[6].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدِ لِلهِ فَهُوَ أَقْطَعُ» حديث حسن رواه أبو داود وغيره[7].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأُكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»رواه مسلم[8].

---

1 ــ الشيخ محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 536 وما بعدها.

2 ــ انظر، المرجع نفسه، ص 537 وما بعدها.

3 ــ سورة الفاتحة، الآية:1.

4 ــ سورة الإسراء، الآية: 111.

5 ــ سورة البقرة، الآية: 152.

6 ــ سورة إبراهيم، الآية: 7.

7 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1402، ص 345.

8 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1404، ص 346.

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «حمد الله، يعني: وصفه بالمحامد والكاملات وتنزيهه عن كل ما ينافي ذلك ويضاده، فهو سبحانه وتعالى أهل الحمد بحمده على جميل إحسانه وعلى كمال صفاته جل وعلا مع المحبة والتعظيم... ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه ما يسره، قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه ما يخالف ذلك، قال: الحمد الله على كل حال... فحمد الله تعالى واجب على كل إنسان، وكذلك الشكر، الشكر على إنعامه، كم أنعم عليك من نعمة؟! عقل، سلامة بدن، مال، أهل، أمن، نعم لا تحصى،﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1]... والشكر، قال أهل العلم: هو القيام بطاعة المنعم... والشكر له فائدتان عظيمتان، منها: الاعتراف بالله تعالى في حقه وفضله وإحسانه، ومنها أنه سبب لمزيد النعمة، كلما شكرت زادت نعم الله عليك» [2].

ولله درّ القائل:

إِنِّي لَأَذْكُرُ مَوْلَايَ وَأَشْكُرُهُ ... فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

فَكَمْ لَهُ نِعْمَةٌ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ ... ضَاقَتْ لِكَثْرَتِهَا عَنْ شُكْرِهَا هِمَمِي

فَرْضٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ شُكْرَ خَالِقِهِ ... فِيمَا أَفَاضَ مِنَ الإِنْعَامِ وَالكَرَمِ[3]

والشكر نوعان: شكر بالقلب، وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل؛ لقوله تعالى:﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[4]، وشكر باللسان، لقوله تعالى:﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]. ويروى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ القَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ

1 ــ سورة إبراهيم، الآية: 34 .

2 ــ الشيخ محمد صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 479 وما بعدها.

3 ــ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، دار صادر، بيروت، د،ط،د.ت، المجلد الأول، ص179.

4 ــ سورة النحل، الآية: 53.

5 ــ سورة الضحى، الآية: 11.

النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، والتَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ». وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: تذكّروا النّعم فإنّ ذكرها شكر[1].

ولقد أجاد من قال:

أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الأُمُورِ بِأَسْرِهَا
فَلأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا[2]

وقال عمارة بن عقيل:

فَلأَشْكُرَنَّكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَنِي مَا بَلَّ رِيقِي لِلْكَلاَمِ لِسَانِي[3]

وفي ذلك يقول الإمام علي رضي الله عنه:

وَإِنْ أَوْلاَكَ ذُو كَرَمٍ جَمِيلاً فَكُنْ بِالشُّكْرِ مُنْطَلِقَ اللِّسَانِ[4]

5.1.6 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5].

وقال تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[6]. وقال تعالى:﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[7].

---

1 ــ انظر، الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق الأستاذ درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيد ــ بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1418هـ ــ 1997م، الجزء الأول، ص381.

2 ــ المصدر نفسه، ج1، ص384 .

3 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ــ لبنان، د. ط، د.ت، المجلد الأول، الجزء الأول، ص 374.

4 ــ الإمام علي، ديوانه، تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ــ الجزائر، د. ط، سنة 1989م، ص145.

5 ــ سورة آل عمران، الآية: 104.

6 ــ سورة آل عمران، الآية: 110.

7 ــ سورة التوبة، الآية: 71.

عن أبي سعيد الخدريّ، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» رواه مسلم[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ»رواه الترمذي وقال: حديث حسن[2].

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «المعروف: كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات القولية والفعلية الظاهرة والباطنة، والمنكر: كل ما أنكره الشرع ومنعه من أنواع المعاصي، من الكفر والفسوق والعصيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك"[3].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور:

أ. أن يكون الإنسان عارفا وعالما بالمعروف والمنكر.

ب. أن يعلم الإنسان يقينا أن الرجل المراد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر تارك للمعروف أو فاعل للمنكر، فلا نتهم أحدا ولا نأخذه بالظن.

ج. أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، معناه أن لا يتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما هو أكبر ضررا، وأعظم إثما، فإن تضمن ذلك فإن الواجب دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، ودفع أكبرهما بأصغرهما.

د. أن يأمر الإنسان بالمعروف وينهى عن المنكر، ولو كان لا يفعل المعروف ولا يتجنب المنكر، فيجب أن يأمر وينهى، لأنه إذا ترك ذلك أضاف ذنبا إلى ذنبه"[4].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم واجبات الدين وفروضه، ولا غنى عنه وإلاّ تفرق الشمل، وتصدّع الجمع، وتمزّق الحبل، وكان لكل قوم منهاج يسيرون عليه،

---

1 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 189، ص 84.

2 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 198، ص 87.

3 ــ الشيخ محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج1، ص 499.

4 ــ انظر، المرجع نفسه، ج1, ص.ص 499. 502 .

كل حزب بما لديهم فرحون، ولكن إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ اتفق منهجهم، واشتدّ بأسهم وصاروا أمة واحدة كما أمرهم الله تعالى.

6.1.6 النصيحة:

قال الله تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام:﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾[1]. وعن هود عليه السلام:﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2].

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»قلنا: لمن؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»رواه مسلم[3].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكلّ مسلم» متفق عليه[4].

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى عليه: «النصيحة هي بذل النصح معناه أن الشخص يحبّ لأخيه الخير، ويدعوه إليه، ويبيّنه له، ويرغّبه... وضدّ النصيحة المكر والغش والخيانة والخديعة"[5].

والنصيحة محّلها خمسة أشياء:

أ. النصيحة لله عز وجل: معناها إخلاص العبودية له جلّ جلاله؛ وإفراد المحبة له والتعظيم، والقيام بما أمر؛ والانتهاء عمّا حرّم، وكذا ذكره بالقلب واللسان والجوارح، والانتقام إذا انتهكت محارمه، وأن يذبّ عن دينه الذي شرعه لعباده.

ب. النصيحة لكتاب الله عز وجل: وذلك بتصديق ما أخبرنا الله تعالى فيه؛ فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك تبينه للناس وتوضيح معانيه بالتفسير الموافق لظاهره من غير تحريف ولا تغيير، ومنها أيضا الإيمان بأنه كلام

---

1 ــ سورة الأعراف، الآية: 62.

2 ــ سورة الأعراف، الآية: 68.

3 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 186، ص 83.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 187، ص 83.

5 ــ الشيخ محمد صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج1، ص 488.

الله عز وجل لفظا ومعنى تلقاه منه جبريل ثم نزّل به على محمد صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى احترامه، فلا يمسّه إلاّ طاهر؛ وألاّ يوضع في موضع يمتهن فيه ويكون وضعه فيه امتهانا له، كمحلّ القاذورات وما أشبه ذلك.

ج. النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بتصديقه، فهو الصادق المصدوق، واتّباعه فهو إمام هذه الأمة وهو متبوعها، ولا يحل لأحد أن يتبع سواه، ومنها أيضا الذب عن شريعته وحمايتها بمحاربة أهل البدع القولية والفعلية والعقدية، وكذلك احترام أصحابه وتعظيمهم ومحبتهم.

د. النصيحة لأئمة المسلمين: الأئمة جمع إمام، وينقسم إلى قسمين: إمامة في الدين، وإمامة في السلطة، فإمامة الدين والعلم يكون النصح لهم بالحرص على تلقي العلم منهم، وإكرامهم، مع عدم تتبع زلاتهم، بل تنبيههم عليها؛ والتماس العذر لهم، ومنها الدفاع عنهم وحماية أعراضهم من أشباه العلماء. أما أئمة السلطة وهم الأمراء فالنصيحة لهم هي الكف عن مساوئهم وعدم نشرها بين الناس، وبذل النصيحة لهم بالمباشرة أو بالكتابة أو الاتصال بمن يتصل بهم.

ه. النصيحة لعامة المسلمين: بأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وإرشادهم للخير،،وتذكيرهم الحق إذا نسوه. [1].

7.1.6 إفشاء السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[4].

---

1 ــ انظر، المرجع السابق، ج1، ص. ص 489. 497.

2 ــ سورة النساء، الآية: 86.

3 ــ سورة النور، الآية: 27.

4 ــ سورة النور، الآية: 61.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيّ الإسلام خير؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه مسلم[2].

وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ السَّلَامَ إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (السلسلة: 184)[4].

ومعنى السلام كما بينه الشيخ ابن العثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ: «التحية التي شرعها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، والسلام بمعنى: الدعاء بالسلامة من كل آفة: يسلمه من المرض، من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار، فهو لفظ عام، معناه: الدعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل آفة»[5].

والسلام أمر مشروع بين المسلمين، واجب إفشاؤه، فهو من أسباب المحبة؛ ومنه فعلى كل مسلم أن يقرأ السلام على من يعرف ومن لا يعرف، ومن حيي بتحية وجب عليه ردّها بالمثل أو بأحسن منها، يقول الشيخ ابن العثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ: «أمر الله سبحانه وتعالى إذا حيينا بتحية أن نحيي بأحسن منها أو نردها، يعني نرد مثلها، فمثلا:

---

1 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ، الحديث رقم 849، ص 246.

2 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 852، ص 247.

3 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 853، ص 247.

4 ـــ محمود بن الجميل، المختارة في الأخلاق والبر والصلة من صحيحة الألباني، مكتبة الصفا ـــ القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1421هـ ـــ 2001م، ص 17.

5 ـــ الشيخ محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص99.

إذا قال لك إنسان: السلام عليك. فقل: عليك السلام، ولا تنقص، وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله. فقل عليك السلام ورحمة الله. وإذا قال: السلام ورحمة الله وبركاته. فقل: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجوبا... وإذا قال: السلام عليك. فقلت: وعليك السلام ورحمة الله. فهذا أحسن من الأول، وأفضل، ولكنه ليس بواجب، الواجب أن تردّ عليه بمثل ما سلّم عليك. وقوله سبحانه ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ يشمل الأحسن نوعا، والأحسن كمّا، والأحسن كيفية. فمثلا إذا قال: السلام عليك. فقلت: أهلا ومرحبا بأبي فلان،حيّاك الله... فهذا لا يجزئ، ولو قلته ألف مرة لن ينفع، وكنت آثما، لأنك لم ترد بأحسن ولا بالمثل، فهو عندما قال: السلام عليك؛ يدعو لك بالسلام مع التحية. فإذا قلت: أهلا ومرحبا، فهذه تحية بلا دعاء، فلا بد أن تقول أحسن منها نوعا، أحسن منها كمّا، أو مثلها...» [1].

أما الكافر فلا يسلم عليه، لكنه إذا سلّم يرّد عليه، وكذلك الفاسق المعلن بفسقه إلا إذا كان في التسليم عليه رجاء توبته[2].

وقد بيّن حكم السلام الشيخ ابن العثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ بقوله: «السلام سنة مؤكدة، ورده فرض عين على من سلّم عليه، وإذا كانوا جماعة فهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، لكن إذا كانوا جماعة وكان من المعلوم أن المسلم يريد بالقصد الأول واحدا منهم وجب على هذا الواحد أن يرد، مثلا لو كانوا طلبة ومعهم معلّمهم، والذي دخل وسلّم يريد بالقصد الأول نفس المعلم، فإنه يجب على المعلم أن يردّ ولا يكفي ردّ الجماعة...» [3].

---

1 ـــ المرجع السابق، ج2، ص 104.

2 ـــ انظر، المرجع نفسه، ج2، ص 105.

3 ـــ المرجع نفسه، ج2، ص 120.

2.6 الكلام الضار:

يقول سعيد حوى: «غير المسلم لا يقيد كلامه قيد، فتراه ثرثارا لاغيا كثير الكلام في كل شيء، بعلم أو بغير علم،بتحقيق أو بغير تحقيق، بما يعنيه وما لا يعنيه، بالخير أو بالشر، يساير أهل الباطل في باطلهم، ويماري أهل الحق في حقهم، ويجادل بعلم وبغير علم، ولا يقصد في جداله إظهار الحق، بل يقصد علبة المناقش، ويحقر الآخرين إذا تكلم، ويقسوا في تعبيره أحيانا، ويشتط أحيانا، ويتكلف الفصاحة، ويكثر من التشدق والتقعر، ولا يبالي إذا خرج من لسانه الفحش والسب والكلام البذيء، ويكثر المزاح بغير الحق، فيكذب مازحا، بل يكذب في كل حين بلا مبالاة ويسخر ويستهزئ ويفشي سرا، ويعد ولا يبالي بالوفاء، ويحلف ولا يبالي بالبرء والحنث أو الكذب، ويعطي عهدا فينقضه، ويغتاب الناس ولو كانوا أقرب المقربين إليه، وينقل حديث الشر بين الناس بعضهم لبعض فيوقع الفتن،وإذا مدح أفرط في المدح، وإذا ذمّ أفرط في الذم، ويتكلم ولا يبالي أخطأ أو أصاب، نتج عن كلامه خير أو شرا، فائدة أو ضر، وبالتالي فإنه لا يقيده قيد... أما المسلم فعلى النقيض من هذا كله»[1].

فمن الكلام ما هو ضرر محض، وهو ما يعرف بآفات اللسان، وهي كثيرة ومتنوعة، تجري على الألسنة بسهولة ويسر، ودون تفكير في العاقبة، ولا تطيب المجالس عند البعض؛ ولا يحلو حديثهم إلاّ بهذه الأساليب الساقطة التي تناقض الحياء الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن، والأنكى من ذلك والأشد أن بعض النفوس استمرأت عليه، ويرون أنه من باب التسلية وقضاء الأوقات وتحلية المجالس، وما علموا هؤلاء أنهم وقعوا بذلك في سخط الله وغضبه، وقد أضاعوا أوقاتهم، وحمّلوا أنفسهم الأوزار، فما أصبرهم على النار!.

1 ــ سعيد حوى، الإسلام، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، باب الواد ــ الجزائر، الطبعة الثانية، سنة 1408هـ ــ 1988م، ص 276 وما بعدها.

1.2.6 الغيبة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ». رواه مسلم[2].

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع: «إِنَّ دِمَائَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ» متفق عليه[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا ـــ قال بعض الرواة: تعني قصيرة ـــ فقال: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قالت: وحَكَيْتُ له إنسانا فقال: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وكَذَا». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[4].

قال الإمام النووي رحمه الله: «ومعنى: مزجته. خالطته مخالطة يتغيّر بها طعمه، أو ريحه لشدة نتنها وقبحها، وهذا من أبلغ الزواجر عن الغيبة» [5].

وليعلم كل واحد أن المستمع للغيبة شريك فيها ولا يتخلّص من إثم سماعها إلاّ أن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك» [6].

---

1 ـــ سورة الحجرات، الآية: 12.

2 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ، الحديث رقم 1531، ص 373.

3 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1532، ص 373.

4 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1533، ص 373.

5 ـــ المصدر نفسه، ص 373.

6 ـــ زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، راسم الدعاية والإعلان، د.ط؛ سنة 1406هـ، ص 49.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[1]، وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2].

فالغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منه إلا القليل من الناس، وهي ذكر الإنسان بما يكره ولو بما فيه، سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خَلْقِه أو خُلُقِه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه، أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك ممّا يتعلق به سواء ذكرته بلفظك، أو بكتابك أو رمزت إليه بعينك؛ أو يدك؛ أو رأسك، أو نحو ذلك، فأما الدين فكقولك: سارق؛ خائن؛ ظالم؛ متهاون بالصلاة؛ متساهل في النجاسات، ليس بارا بوالديه؛ قليل الأدب؛ لا يضع الزكاة مواضعها؛ لا يجتنب الغيبة. وأما البدن فكقولك؛ أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل؛ أو أسود أو أصفر. وأمّا غيرهما فكقولك: فلان قليل الأدب، متهاون بالناس؛ لا يرى لأحد عليه حقا؛ كثير النوم كثير الأكل؛ وما أشبه ذلك. أو كقولك؛ فلان أبوه نجار أو إسكاف؛ أو حداد أو حائك؛ تريد تنقيصه بذلك، أو فلان سيّء الخلق متكبر مراء؛ معجب؛ عجول؛ جبار؛ ونحو ذلك، أو فلان واسع الكم، طويل الذيل؛ وسخ الثوب؛ ونحو ذلك... [3].

أما عن الأسباب الباعثة عليها وعلاجها، فقد بينهما بن قدامة المقدسي في كتابه (مختصر منهاج القاصدين) فقال: «من الأسباب الباعثة على الغيبة:

1. تشفي الغيظ بأن يجري من إنسان في حق آخر سبب يوجب غيظه؛ فكلما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه.
2. موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم، فإنهم إذا كانوا يتفكهون في الأعراض رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة.

---

1 ــ سورة القصص، الآية: 55.

2 ــ سورة المؤمنون، الآية: 3.

3 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستطرف، ج1، ص 149.

3. إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره... وكذلك الحسد في ثناء الناس على شخص وحبهم له وإكرامهم، فيقدح فيه ليقصد زوال ذلك.

4. اللعب والهزل فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة حتى أن بعض الناس يكون كسبه من هذا» [1].

وعلاج هذه الآفة مترتب على علم المغتاب أنه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته، وأنّ حسناته تنقل إلى المغتاب إليه وإن لم يكن له حسنات نقل له من سيئات خصمه، فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة، وينبغي إذا عرضت له الغيبة أن يتفكر في عيوب نفسه ويشتغل بإصلاحها ويستحي أن يعيب وهو معيب.

لكن الذي لا ينبغي إغفاله هو أن الغيبة تباح بستة أسباب قد جمعها ابن أبي شريف في بيتين من الشعر، فقال:

الذَّمُّ لَيْسَ بِغَيْبَةٍ فِي سِتَّةٍ مُتَظَلِّمٍ وَمُعَرِّفٍ وَمُحَذِّرِ
وَلِمُظْهِرٍ فُسْقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ طَلَبَ الإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرِ [2]

2.2.6 الكذب:

قال الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[3].

وعن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» متفق عليه[4].

---

1 ــ زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص49.

2 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 53.

3 ــ سورة النحل، الآية: 105.

4 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1550، ص 379.

فالكذب هو الإخبار بخلاف الواقع، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب؛ ومن أعظمه الكذب على الله ورسوله لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]. وقال تعالى﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾[2].

والافتراء على الله نوعان؛ قد بينهما الشيخ العثيمين ــ رحمة الله عليه ــ: «الافتراء على الله نوعان: النوع الأول: أن يقول قال الله كذا، وهو يكذب، كاذب على الله، ما قال الله شيئا. والنوع الثاني: أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله. بما لم يرده الله عز وجل، لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد أو أخطأ في تفسير الآية فإن الله تعالى يعفو عنه» [3].

وعن سلمة بن الأكوع ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري[4].

وعن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجْ النَّارَ» رواه البخاري[5].

يقول الشيخ العثيمين ــ رحمة الله عليه ــ: «الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول: قال رسول الله كذا، ولم يقله، لكن كذب عليه وكذلك أيضا إذا فسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير معناه فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"... وأكثر الناس كذبا على رسول الله هم الرافضة الشيعة» [6].

---

1 ــ سورة الأنعام، الآية: 144.

2 ــ سورة الزمر، الآية: 31.

3 ــ العلامة محمد صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص614 وما بعدها.

4 ــ مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني ــ 700 حديث مشروحة، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، د، ط، د.ت، الحديث رقم 34، ص 68.

5 ــ المرجع نفسه، الحديث رقم 35، ص 68.

6 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 615 .

ومن أنواع الكذب أيضا؛ الكذب على الناس؛ ومنه أيضا الكذب في الحديث بين الناس؛ وهذا ما بينه الشيخ العثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ في قوله: «الكذب في الحديث بين الناس، الجاري بين الناس يقول: قلت لفلان كذا وهو لم يقله، قال فلان كذا وهو لم يقله، جاء فلان وهو لم يأت وهكذا، هذا أيضا محرم ومن علامات النفاق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ".» [1]

ومن الكذب أيضا اختلاق الرؤى والمنامات بغية تحصيل فضيلة أو كسب مادي، أو تخويفا لمن بينه وبينهم عداوة، ومن عقوبته أن يكلف يوم القيامة بأمر مستحيل؛ وهو أن يعقد بين شعيرتين[2]. وأنّى له ذلك؟! فعن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ» رواه البخاري[3].

هذا وإنّ الكذب يتضاعف جرمه؛ ويتعاظم إثمه بحسب ما يؤدي إليه، وهو في كل الأحوال كما قال عنه التوحيدي: «الكذب شعار خَلَق، ومورد رنق، وأدب سيّء، وعادة فاحشة، وقل من استرسل فيه إلاّ ألفه، وقل من ألفه إلاّ أتلفه» [4].

ولا يجوز من الكذب إلا ما أجازه الشرع؛ وقد بين ذلك الإمام النووي ـــ رحمه الله ـــ بقوله: «اعلم أنّ الكذب، وأن كان أصله محرما، فيجوز في بعض الأحوال بشروط... فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلاّ بالكذب جاز الكذب... واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم ـــ رضي الله عنها ـــ أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» متفق عليه، زاد مسلم في

---

1 ـــ المرجع السابق، ج2، ص616.

2 ـــ محمد صالح المنجد، التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية، دار قاسم للنشر والتوزيع، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ، ص 24.

3 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1552،ص 379.

4 ـــ التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، د . ت، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص 164.

رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء ممّا يقول الناس إلاّ في ثلاث: تعني، الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها»[1].

وفي هذا المعنى يقول أبو العتاهية:

الصِّدْقُ إِيمَانٌ وَرُبَّمَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ يَنْفَعُ الكَذِبُ[2]

3.2.6 شهادة الزور:

قال تعالى:﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[4].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قلنا، بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكان متكئا فجلس، فقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه[5].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكبائر قال: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ» رواه البخاري[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» رواه البخاري[7].

يقول القسطلاني في شرحه للحديث المتقدم: «مجاز عن عدم الالتفات والقبول؛ وليس لله إرادة أن يثيبه في صيامه»[8].

---

1 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ص 382 وما بعدها.

2 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص 485.

3 ــ سورة الحج الآية: 30.

4 ــ سورة الفرقان الآية : 72.

5 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1558، ص 383 وما بعدها.

6 ــ مصطفى محمد عمارة، جواهر التجاري وشرح القسطلاني، الحديث رقم 379، ص 303.

7 ــ المرجع نفسه، الحديث رقم 225، ص 186.

8 ــ المرجع نفسه، هامش ص 186.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: ... شَهَادَةُ الزُّورِ...» رواه أحمد، وقال أحمد شاكر: صحيح[1].

وهذا ممّا عمت به البلوى في هذا الزمان، فيقول محمود المصري عمّا يترتب عن شهادة الزور: «ما أبشعها من جريمة تقشعر منها القلوب المؤمنة... فكم تسببت في ظلم اليتامى والمساكين وحرمانهم من أدنى حقوقهم، وكم تسببت في ضياع الأموال والأعراض.» [2].

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله عليه: «شهادة الزور أن يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافه، أو يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافه، أو يشهد بما لا يعلم أن الأمر بخلافه أو بوفاقة، أو يشهد بما يعلم أن الأمر على وفاقة لكنه على صفة غير الواقع، هذه ثلاثة أحوال وكلها حرام، لا يحل لإنسان أن يشهد إلاّ بما علم على الوجه الذي علمه.» [3].

4.2.6 الرّمي بالمعضلات وقذف المحصنات:

قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4].

وقال تعالى:﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا

---

1 ــ محمود المصري، أشراط الساعة الصغرى والكبرى، دار الإمام مالك للكتاب، البليدة ــ الجزائر، سنة 1422هـ ــ 2001م، ص 13.

2 ــ المرجع نفسه، ص13 وما بعدها.

3 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصلحين، ج2، ص632.

4 ــ سورة النور، الآيات: 4 ــ 9.

أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[3].

عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُقِ أَوِ الكُفْرِ، إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ» رواه البخاري[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ» متّفق عليه[5].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ» متّفق عليه[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ــ وذكر منها ــ قَذْفَ المُؤْمِنَاتِ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ» متفق عليه[7].

---

1 ــ سورة النور، الآيات: 15 ــ 19.

2 ــ سورة النور، الآية: 23.

3 ــ سورة الأحزاب، الآية: 58.

4 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1568، ص 386.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1571، ص 386.

6 ــ المصدر نفسه ، الحديث رقم 1741، ص 421.

7 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1802، ص 343.

يقول سعيد حوى عن الحكمة من وجوب عقوبة القذف: «... والبواعث التي تدعو القاذف للافتراء والاختلاق كثيرة منها الحسد، والمنافسة، والانتقام، ولكنها جميعها تنتهي إلى غرض واحد يرمي إليه كل قاذف هو إيلام المقذوف وتحقيره،وقد وضعت عقوبة القذف في الشريعة على أساس محاربة هذا الغرض، فالقاذف يرمي إلى إيلام المقذوف إيلاما نفسيا، فكان جزاؤه الجلد ليؤلمه إيلاما بدنيا، وهذا أشد وقعا على النفس والحس. والقاذف يرمي من وراء قذفه إلى تحقير المقذوف، وهذا التحقير فردي، لأن مصدره واحد هو القاذف، فكان جزاؤه أن يحقر من الجماعة كلّها، وأن يكون هذا التحقير العام بعض العقوبة التي تصيبه فتسقط عدالته، ولا تقبل له شهادة أبدا، ويوصم وصمة أبدية بأنه من الفاسقين» [1].

5.2.6 النميمة:

قال تعالى:﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[2].

وقال تعالى:﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[3].

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» متفق عليه[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» متفق عليه[5].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أُنْبِئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ؛ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رواه مسلم[6].

---

1 ــ سعيد حوى، الإسلام، ص 607 وما بعدها.

2 ــ سورة الهمزة، الآية: 1.

3 ــ سورة القلم، الآية: 11.

4 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1544، ص 377.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1545، ص 377.

6 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1546، ص 378.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: «حقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره،فينبغي أن يسكت عنه، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع لمعصية... فالباعث على النميمة إمّا إرادة السوء للمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل، وكل من حملت إليه النميمة؛ وقيل له إنّ فلان قال فيك كذا... فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾[1].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله، قال تعالى:﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2].

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى:﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3].

الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله تعالى:﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[4].

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحكي نميمته، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نماما ومغتابا، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت»[5].

---

1 ــ سورة الحجرات، الآية: 6.

2 ــ سورة لقمان، الآية: 17.

3 ــ سورة الحجرات، الآية: 12.

4 ــ سورة الحجرات، الآية: 12.

5 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 307.

6.2.6 اليمين والحلف بغير الله:

قال الله تعالى:﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وقال تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وقال تعالى:﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

وقال تعالى:﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[5]. وقال تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾[6].

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه[7].

---

1 ــ سورة النحل، الآية: 91.

2 ــ سورة البقرة، الآيتان: 222، 223.

3 ــ سورة آل عمران، الآية: 76.

4 ــ سورة المائدة، الآية: 91.

5 ــ سورة التحريم، الآية: 2.

6 ــ سورة القلم، الآية: 10.

7 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1716، ص 417.

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي وَلَا بِآبَائِكُمْ» رواه مسلم[1].

يقول الإمام النووي: «الطَّوَاغِي: جمع طاغية، وهي الأصنام... وروي في غير مسلم: (بِالطَّوَاغِيتِ) جمع طاغوت؛ وهو الشيطان والصنم»[2].

وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة. فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[4].

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن الحلف بغير الله: «الحلف بغير الله عز وجل مثل أن يقول: وحياتك أو حياتي، أو والنبي، أو والسيد الرئيس، أو والشعب أو ما شابه ذلك، كل هذا محرّم بل هو من الشرك، لأن هذا نوع من التعظيم لا يصلح إلاّ لله عز وجل، ومن عظم غير الله بما لا يكون إلاّ لله فهو شرك، لكن لما كان هذا الحالف لا يعتقد أنّ عظمة المحلوف به كعظمة الله؛ لم يكن الشرك شركا أكبر بل كان شركا أصغر... فلا تحلف بغير الله أيّا كان المحلوف به، حتى لو كان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبريل أو من دونهما من الرسل أو من الملائكة أو البشر؛ فلا تحلف بشيء سوى الله عزّ وجل»[5].

وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ

---

1 ــ المصدر السابق، الحديث رقم 1717، ص 417.

2 ــ المصدر نفسه، ص 417.

3 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1718، ص 417.

4 ــ المصدر نفسه ، الحديث رقم 1720، ص 417 وما بعدها.

5 ــ الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الحقوق الإسلامية، جمع وترتيب صلاح الدين محمود السعيد، مكتبة الإيمان بالمنصورة، د.ط، د.ت، ص 59.

الجَنَّةَ» فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ»رواه البخاري[2].

ولا مؤاخذة على لغو اليمين ولا كفارة فيه وهو كما قال الإمام النووي: «ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين كقوله على العادة. لا والله،وبلى والله ونحو ذلك»[3].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله. رواه البخاري[4].

فعلى المسلم أن يكون محترما لله عز وجل معظما له لا يكثر اليمين، وإذا حلف فليكن صادقا حتى يكون بارا بيمينه.

7.2.6 الوعد الكاذب والتماطل في الوفاء:

قال تعالى:﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾[7].

---

1 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1722، ص 418.

2 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1723، ص 418.

3 ــ المصدر نفسه، ص 419.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1728، ص 419.

5 ــ سورة إبراهيم، الآية: 24.

6 ــ سورة مريم، الآية: 54.

7 ــ سورة الإسراء، الآية: 34.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»متفق عليه، زاد في رواية لمسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه[4].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» فلم يجئ مال البحرين حتّى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فلّما جاء مال البَحْرَيْن أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَةٌ أوْ دَيْن فليأتنا، فأتيته وقلت له: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لي كذا وكذا، فحثي لي حَثْيَةً فعددتها، فإذا هي خمسمائة، فقال لي: خذ مثليها. متفق عليه[5].

8.2.6 الفحش والسب وبذاءة اللسان:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ»رواه الترمذي وقال: حديث حسن[6].

---

1 ــ سورة الصف، الآيتان 2، 3.

2 ــ سورة النحل، الآية: 91.

3 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 694، ص 212.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 695، ص 212.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 696، ص 212.

6 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1743، ص 422.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[1].

سمع حكيم رجلا يفحش فقال: «يا هذا إنك تملي على حافظيك كتابا إلى ربك»[2].

وقد بين أبو حامد الغزالي حدّ الفحش وحقيقته بقوله: «هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة»[3].

أما السبّ والشتم فهو من الأمور التي تنفر منه القلوب السليمة والأرواح القويمة؛ وأعظمه سب الله تعالى ـــ والعياذ بالله ـــ وذلك بسبّ الدهر، فعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» متفق عليه[4].

يقول طارق الطنطاوي في معنى هذا الحديث القدسي: «أن ابن آدم عندما يسبّ الدّهر فهو يسبّ الله تعالى، وذلك لأنّ الدّهر ما هو إلاّ من تدبير الله تعالى، فسبّه الدّهر يعدّ سبّا لله تعالى، وهذا لا يجوز في حقّه جلّ جلاله»[5].

عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ» رواه البخاري[6].

---

1 ـــ المصدر السابق، الحديث رقم 1744، ص 422.

2 ـــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الثاني، الجزء 4، ص 400.

3 ـــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص265.

4 ـــ الإمام نور الدين القاري الحافظ أبي الحسن ، الأربعون القدسية ، الحديث رقم 3، ص 35 وما بعدها.

5 ـــ المصدر نفسه، هامش ص 36.

6 ـــ المصدر نفسه، ص 33 وما بعدها.

فهذا من المحرمات التي ورد النهي عنها في كلام الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ والتي يترتب عليها سخط الله وغضبه.

وينبغي التناهي عن سب آلهة الكفار إذا كان يؤدّي إلى سبّ الله عز وجل[1]. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2].

والنهي عن سب الصحابة ـــ رضوان الله عنهم ـــ؛ عن أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» رواه البخاري[3].

فينبغي الاعتقاد أنّ أفضلهم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، وبعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة؛ ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والإمساك عما شجر بين الصحابة والاعتقاد أنهم في ذلك مجتهدون؛ من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر.[4]

فسب الصحابة رضوان الله عنهم ردّ لثناء الله عليهم وهذا كفر ـــ والعياذ بالله ـــ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[5].

ولا ينبغي سب المسلم أيا كان؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» متفق عليه[6].

---

1 ـــ محمد صالح المنجد، التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية، ص 9.

2 ـــ سورة الأنعام، الآية: 108.

3 ـــ مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، الحديث رقم 481، ص 375.

4 ـــ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام، دار الوطن للنشر، الرياض، د.ط، سنة 1411هـ، ص 20.

5 ـــ سورة الفتح، الآية:18 .

6 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1567، ص 386.

والوزر يقع على البادئ من المستبّان ما لم يعتد من ظُلم، فعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى البَادِئِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ» رواه مسلم[1].

وكذلك تحريم سبّ الأموات بغير حق ومصلحة شرعية وهو التّحذير من الإقتداء به في بدعته وفسقه، ونحو ذلك[2]. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» رواه البخاري[3].

ومن جملة السب المنهي عنه؛ سب الحمَّى؛ فعن جابر رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم دخل على أم السّائب ـــ أو أم المسيّب فقال: «مَالَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ ـــ أو يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» قالت: الحمّى لا بارك الله فيها، فقال: «لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ» رواه مسلم[4].

وسبّ الرّيح؛ فعن أبي المنذر أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ؛ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا» رواه أبو داود بإسناد حسن[6].

---

1 ـــ المصدر السابق، الحديث رقم 1569، ص 386.

2 ـــ المصدر نفسه، ص 386.

3 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1572، ص 387.

4 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1735، ص 420.

5 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1736، ص 421.

6 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1737، ص 421.

وسبّ الديك؛ فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ» رواه أبو داود بإسناد صحيح[1].

وسبّ الشيطان لأنه يتعاظم، والمفيد هو الاستعاذة بالله من شره[2].

هذا وغيره ممّا يجب تركه والتخلص منه؛ فالفحش والسبّ وبذاءة اللسان مصدرهم الخبث واللؤم، والألسنة قد درجت إلى اللجوء إليهم؛ لكن هذا ما لا يرضاه مسلم؛ ومن يرضى بأمر يبغضه الله؟!!

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ؛ وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ.» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3].

قال النووي: «البَذِيُّ هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام»[4].

فيجب هجر كل فاحش والابتعاد عنه لأنه أمر يتنافى مع الخلق الحسن والذوق السليم والمنهج الصحيح والصراط المستقيم، والمسلم من ترفع عن الدنايا وعوّد لسانه النطق بالخير، فاللسان لما عوّد معتاد.

9.2.6 اللعن:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[6].

عن أبي زيد ثابت بن الضحاك الأنصاري رضي الله عنه ـــ وهو من أهل بيعة الرضوان ـــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ» متفق عليه[7].

---

1 ـــ المصدر السابق، الحديث رقم 1739، ص 421.

2 ـــ محمد صالح المنجد، التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية، ص 24.

3 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 631. ، ص 196

4 ـــ المصدر نفسه، ص 196.

5 ـــ سورة هود، الآية: 18.

6 ـــ سورة الأعراف، الآية: 44.

7 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1599، ص 384.

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّاناً» رواه مسلم[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم قال: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه مسلم[2].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِنَارِهِ» رواه أبو داود، والترمذي وقالا: حديث حسن صحيح[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ» رواه الترمذي،وقال: حديث حسن[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِذَا كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا» رواه أبو داود[5].

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فَضَجَرَتْ فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا، وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» قال عمران:فكأنّي أراها الآن تمشي في النّاس ما يعرض لها أحد. رواه مسلم[6].

---

1 ــ المصدر السابق، الحديث رقم 1560، ص 384.

2 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1561، ص 384.

3 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1562، ص 384.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1563، ص 384.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1564، ص 384.

6 ــ المصدر نفسه ، الحديث رقم 1565، ص 384 وما بعدها.

وقد أورد الإمام أبو حامد الغزالي ماهية اللعن والأحوال المقتضية لـه بقولـه: «اللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلاّ على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل؛ وهو الكفر والظلم، بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين، وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع، فإنّ في اللعنة خطرًا، لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون، وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى؛ ويطلّع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه.

والصفات المقتضية للّعن ثلاثة: الكفر، والبدعة، والفسق، وللّعن في كل واحدة ثلاثة مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف الأعم، كقولك: لعنة الله على الكافرين، والمبتدعين، والفسقة.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه، كقولك: لعنة الله على اليهود، والنصارى، والمجوس...

الثالثة: اللعن للشخص المعين، وهذا فيه خطر، كقولك: زيد لعنه الله... والتفصيل فيه، أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا، فتجوز لعنته، كقولك: فرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا، أمّا شخص بعينه في زمننا، كقولك: زيد لعنه الله، وهو يهودي مثلا، فهذا فيه خطر، فإنه ربما يسلم، فيموت مقربا عند الله، فكيف يحكم بكونه ملعونا؟...وكذلك من بان لنا موته على الكفر، جاز لعنه، وجاز ذمّه، إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز»[1].

1 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 267 و ما بعدها.

ولّما كان المؤمن ليس بلعّان، فلا ينبغي له أن يطلق العنان للسانه باللّعنة -هـذا أمر منهيّ عنه شرعا - إلا من ورد ذكر لعنهم في القـرآن الكـريم أو جـاء في سـنّة صحيحة[1].

10.2.6 التشدق وتكلف السجع والفصاحة والتقعّر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[2].

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثا رواه مسلم[3].

يقول الإمام النووي «الْمُتَنَطِّعُونَ: المبالغون في الأمور»[4].

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله تعالى عنهما أنّ النبيّ صلّى الله عليـه وسـلّم قال: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ» رواه أبـو داود والترمذي وقال حديث حسن[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ» رواه الترمـذي وقـال حـديث حسن[6]. قال الإمام النووي: «الثَّرْثَارُ: هو كثير الكلام تَكَلُّفاً، والْمُتَشَدِّقُ: المتطاول على النّاس بكلامه، ويتكلّم بملء فِيهِ تفاصحا وتعظيما لكلامه، والمتفيهق: أصله من الفهق وهو

---

1 ـــ ثبت في الصحيح أن رسول الله عليه وسلم قال: « لعن الله الواصلة والمستوصلة» وأنه قال: « لعن الله آكل الربا» وأنه لعن المصورين،وأنه قال: «لعن الله من غير منار الأرض» أي حدودها، وأنه قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة»، وأنه قال: « لعن الله من لعن والديه»،و أنه قال :«لعن الله من ذبح لغير الله»، وأنه قال: « اللهم إلعن رِعْلاً، وذِكْوَانَ، وعُصَيَّة، عصوا الله ورسوله» وهذه ثلاث قبائل من العرب، وأنه قال: « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا»، وأنه قال:«لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». وجميع هذه الألفاظ في الصحيح، بعضها في صحيح البخاري ومسلم، وبعضها في أحدهما. (الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ص 385)؛ وقد ورد في الصحيحين لعن بعض أصحاب المعاصي غير المعينين وقد ذكر الإمام النووي بعضهم ـــ كما أوردناه ـــ وبعضهم الآخر؛ يرجع إلى الصحيحين من ابتغى التفصيل.

2 ـــ سورة ص، الآية: 86.

3 ـــ الإمام النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1745، ص 422.

4 ـــ المصدر نفسه، ص 422.

5 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1746، ص 422.

6 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1747، ص 422.

الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرا وارتفاعا وإظهارا للفضيلة على غيره»[1].

يقول أبو حامد الغزالي: «التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة، والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات، وما جرت به عادة المتفصحين؛ المدعين للخطابة, وكل ذلك من التصنع المذموم؛ ومن التكلف الممقوت... ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة, وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات.»[2].

وإذا كان الغرض من الكلام التفهيم للغرض وجب صونه مما يعقده، قال أبو هلال العسكري: «إيّاك والتوعر، فإنّ التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك» [3].

ويشير الدكتور محمد كشاش إلى هذه الآفة من حيث أداب السلوك بقوله: «البعد عن التشادق بالكلام والثرثرة والتخلل باللسان؛ وهي صفات يعاب فاعلها ويكره سالكها، ويعمد بعض المتكلمين إلى إدخال ألفاظ أعجمية في كلامهم للتدليل على سعة معرفتهم وارتفاع قدرهم؛ كأن يقول * please * في موضع من فضلك ... وهذا سلوك مشين لأنه يحول الكلام إلى هجين» [4].

فخير الكلام ما قل ودلّ؛ فيكون بليغا ومبلّغا للمراد، فأحسن الكلام كما بينه الجاحظ: «ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه؛ وكان الله عزّ وجل قد ألبسه من الجلالة؛ وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا؛ وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه؛ ومنزّها عن الاختلال مصونا عن التكلف؛ صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فُصِلَتْ الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها

1 ــ المصدر السابق، ص 197.

2 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 263 وما بعدها.

3 ــ الدكتور محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة، ص 111.

4 ــ المرجع نفسه، ص 115 و ما بعدها.

من التأييد ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ» رواه البخاري[2].

فمما يجب صون الكلام عنه التقعير والتخلل في اللسان والتفاصح والتشادق مما يشين صاحب الكلام وكلامه، يقول الدكتور محمد كشاش: «ومن السلوك اللغوي المكروه التشادق وتكلف السجع والتفاصح بزحارف القول، كأن هذا السلوك مدعاة افتخار وأمارة ثقافة ورفعة، وما دروا أنه علامة سوء وازدراء»[3].

11.2.6 الغناء[4]:

له بضعة عشر اسما: اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسمود.

أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ تَبًّا لِذِي الأَسْمَاءِ وَالأَوْصَافِ

قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[5].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لمّا سئل عن لهو الحديث قال: الغناء والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاثا، وبهذا قال ابن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

---

1 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 83.

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1664، ص 407.

3 ــ الدكتور محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة، ص 139.

4 ــ انظر، الإمام ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، الطبعة الأولى، سنة 1991م، ص. ص 230. 257. والإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص.ص 376. 420. وأحمد بن عبد العزيز الحمدان، أحكام الموسيقى والغناء من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، سنة 1412هـ ــ 1991م.

5 ــ سورة لقمان، الآية: 6.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[1].

قال محمد بن حنيفة: الزور هاهنا الغناء. وقاله ليث عن مجاهد.

وقال تعالى:﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2].

وقد أجاب ابن عباس رضي الله عنهما الرجل الذي سأل عن حكم الغناء بقوله: أرأيت الحق والباطل، إذا جاء يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك.

وقال تعالى عن الكفار:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[3].

قال ابن عباس، وابن عمر، وعطية، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة: المكاء الصفير، والتّصدية التصفيق.

وأمّا تسميته رقية الزنا، فهو اسم موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه، كذا سماه الفضيل بن عياض.

وأما تسميته منبت النفاق، فلقول ابن مسعود رضي الله عنه: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» أخرجه البيهقي في سننه.

وأما تسميته قرآن الشيطان؛ فمأثور عن التابعين أن الشعر قرآن الشيطان، ولذلك صان الله تعالى رسوله عن تعلم قرآن الشيطان، فقال تعالى:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[4].

وأما تسميته بالصوت الأحمق؛ والصوت الفاجر؛ فهي تسمية الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي من حديث ابن أبي ليلى عن عطاء عن جابر

---

1 ــ سورة الفرقان، الآية: 72.

2 ــ سورة الإسراء، الآية: 81.

3 ــ سورة الأنفال، الآية: 35.

4 ــ سورة يس، الآية: 69.

رضي الله عنه: «...إنّما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة، خمس وجوه، وشق جيوب، ورنّة...»

وأما تسمية صوت الشيطان، فقد قال تعالى للشيطان وحزبه:﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

قال مجاهد رحمه الله عن صوت إبليس: هو الغناء والمزامير واللهو والباطل، وقال ابن القيم رحمه الله، لا ريب أنّ الغناء من أعظم أصوات الشيطان التي يستفز بها النفوس، ويزعجها ويقلقها، وهو ضد القرآن الذي تطمئن به القلوب وتسكن وتخبت إلى ربّها.

وأما تسميته مزمور الشيطان؛ فقد وصفه به أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ وقد أقرّ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما تسميته بالسمود، فلقول الله تعالى:﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾[2].

قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: السمود: الغناء في لغة حمير، يقال: اسمدي لنا، أي غنّي لنا. وكذلك قال مجاهد وعكرمة والضحاك رحمهم الله.

فالغناء المقصود فيما تقدم هو المحرّم لا يناقض في ذلك منصف قد شرح الله قلبه للإيمان، ولكن هناك ما هو مباح مثل: حداء الإبل، والرجز في الحرب، وما استعمل لتخفيف شدة العمل، وترقيص الأم لطفلها، وغناء النساء في الأعراس ومناسبات من ختان؛أو قدوم مسافر، أو في الأعياد.

فهذا الغناء مباح بشروط لابدّ من توافرها؛ وهي:

- أن لا يكون فيه كلام مخالف للشرع من شرك، وفحش، وهجاء للمسلمين، وتغزل بالأجنبيات، ووصف للخمور...

---

1 ــ سورة الإسراء، الآية: 64.

2 ــ سورة النجم، الآيات: 59ــ 61.

- أن لا يشغل عن أداء فريضة، أو يكون سببا لتضييع واجب.
- إن كان صادرا عن امرأة بالغة فلا يجوز أن يسمعها رجال أجانب، سواء غنّت أمامهم أو من وراء حجاب.
- أن لا يكثر منه، فإن أكثر منه وعرف به أو أخذ عليه أجرة، فهو سفيه تردّ شهادته عند العلماء.
- أن لا تصاحبه موسيقى، فإن صحبته فهو حرام بكلّ حال، إلاّ الدف يشترط أن يكون بدون جلاجل، وتستعمله النساء فقط.

12.2.6 السخرية والإستهزاء:

يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى:﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[4].

يقول أبو حامد الغزالي: «ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول؛

---

1 ــ سورة الحجرات، الآية: 11.

2 ــ سورة التوبة، الآية: 80.

3 ــ سورة الصافات، الآيات: 11 ــ 15.

4 ــ سورة الزمر، الآية: 53.

وقد يكون بالإشارة والإيماء... فأما من جعل نفسه مسخرة، وربما فرح من أن يسخر به، كانت السخرية في حقه من جملة المزاح... وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون، وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه و لم ينتظم؛ أو على أفعاله إذا كانت مشوشة؛ كالضحك على خطه، وعلى صنعته، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا، أو ناقصا لعيب من العيوب. فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عليها»[1].

13.2.6 المراء والجدال:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا» حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح[2].

يقول الإمام أبو حامد الغزالي عن المراء: «هو كل اعتراض على كلام الغير، بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإمّا في المعنى، وإمّا في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض»[3].

يقول ابن قدامة المقدسي: «واعلم أن من أشدّ الأسباب لإثارة الحقد والحسد بين الإخوان المماراة، ولا يبعث عليها إلاّ إظهار التميز بزيادة الفضل والعقل واحتقار المردود عليه، ومن مارى أخاه فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو الغفلة والسهو، عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار، وهو يوغر الصدر ويوجب المعاداة وهو ضد الأخوة»[4].

---

1 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 277.

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 635، ص 197.

3 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 260.

4 ــ زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 250.

قيل لعبد الله بن الحسن: ما تقول في المراء؟ قال: ما عسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة المتينة، فإن أقّل ما يكون فيه أن يكون دربه للمغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة[1].

أمّا المجادلة فهي كما يقول أبو حامد الغزالي: «عبارة عن قصد إفحام الغير، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه...»[2].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5].

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني[6].

فالجدال قد يكون ممدوحا؛ وقد يكون مذموما؛ فما كان لإقرار الحق وتوضيحه وتبيانه؛ فذاك ما يحمد منه؛ أما إن كان من غير علم أو كان مدافعة للحق فإنه منبوذ مذموم. لكن بعض الناس يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق؛ ومع ذلك لا يخفى جدالهم بالباطل على من عنده بصيرة؛ يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله؛ ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون.

---

1 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 313.

2 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ج 3، ص 260.

3 ــ سورة العنكبوت، الآية: 46.

4 ــ سورة النمل، الآية: 125.

5 ــ سورة غافر، الآية: 4.

6 ــ الذهبي (الحافظ أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان)، شرح الكبائر، جمع وتحقيق صلاح الدين محمود السعيد، شرح لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومتضمنة الحكم على الأحاديث من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر الطبعة الأولى، سنة 1428 هـ - 2007م، ص 383.

فالمراء والجدال فيهما إيذاء للغير؛ ناهيك عن أمور مستقبحة قد تترتب عنهما، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «لا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب، وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل، ويقدح في قائله بكل ما يتصور له، فيثور الشجار بين المتماريين، كما يثور الهراش بين الكلبين، يقصد كل واحد منهما أن يعضّ صاحبه بما هو أعلم نكاية، وأقوى في إفحامه وإلجامه»[1].

14.2.6 ذو اللسانين:

قال الله تعالى:﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِن:خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وَتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدُّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ» متفق عليه[3].

وعن محمد بن زيد أن ناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنّا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: كنّا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري[4].

قال ابن مسعود: لَا يَكُونَنَّ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً، قالوا: وما الإمّعة؟ قال:الذي يجري مع كل ريح[5]. وعن ماهية ذو اللسانين وحد ذلك يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «إذا دخل على متعاديين، وجامل كل واحد منهما، وكان صادقا فيه؛ لم يكن منافقا؛ ولا ذا اللسانين؛ فإنّ الواحد قد يصادق متعاديين. ولكن صداقة ضعيفة، لا تنتهي إلى حد الأخوة. إذ لو تحققت الصداقة؛ لاقتضت معاداة الأعداء... نعم لو نقل كلام كل واحد

---

1 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 260 و ما بعدها.

2 ــ سورة النساء ، الآية: 108.

3 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1548، ص 378.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم1549، ص 378.

5 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 310.

منهم إلى الآخر، فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة، إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط. فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام، وإن لم ينقل كلاما، ولكن حسّن لكلّ واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه؛ فهذا ذو لسانين، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معادلة، وكذلك إذا أثنى على أحدهما؛ وكان إذا خرج من عنده يذّمه، فهو ذو لسانين، بل ينبغي أن يسكت، أو يثني على المحق من المتعاديين؛ ويثني عنه في غيبته؛ وفي حضوره؛ وبين يدي عدوه»[1].

15.2.6 إفشاء السر:

قال تعالى:﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[2].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى المَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم[3].

وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فسلّم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلّما جئت قالت: ما حسبك؟ فقلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنّها سرّ. قالت: لا تخبرنّ بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. قال أنس: والله لو حدّثت به أحدا لحدّثتك به يا ثابت. رواه مسلم، وروى البخاري بعضه مختصرا[4].

---

1 ــ المصدر السابق، ج3، ص 310 وما بعدها.

2 ــ سورة الإسراء، الآية: 34.

3 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 690، ص 210.

4 ــ المصدر نفسه ، الحديث رقم 693، ص 211 وما بعدها.

وعن إفشاء السرّ يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «هو منهي عنه، لما فيه من الإيذاء، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء... فإفشاء السرّ خيانة، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار»[1].

ومن حقوق الأخوة والصحبة السكوت عن إفشاء السر الذي استودعه؛ فكما يخفي الرجل أسراره؛ فأخاه نازل منزلته؛ وهذه هي حقيقة الأخوة[2].

16.2.6 المنّ بالعطية:

قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[3].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾[4].

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُم اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُر إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال أبو ذرّ: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلْفِ الكَاذِبِ» رواه مسلم[5].

وعن ما هيتها يقول الشيخ العثيمين رحمه الله: «وذلك أن الإنسان إذا أعطى أحدا من الناس عطاء، إن كان صدقة فقد أعطاها لله عز وجل وإن كان إحسان فالإحسان مطلوب، فإذا كان كذلك فإنه لا يجوز للإنسان أن يَمُنَّ بالعطية، فيقول: أنا أعطيتك كذا؛أنا أعطيتك كذا، سواء قاله في مواجهته أو في غير مواجهته، مثل أن يقول

1 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 278.

2 ــ انظر، المصدر نفسه، ج2، ص 268.

3 ــ سورة البقرة، الآية: 264.

4 ــ سورة البقرة، الآية: 262.

5 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1596، ص 392.

بين الناس أعطيت فلانا كذا، وأعطيت فلانا كذا ليمنّ بذلك عليه... الإنسان إذا منّ فإن الصدقة تبطل و لا ثواب له فيها وهو من كبائر الذنوب»[1].

17.2.6 الكلام فيما لا يعني:

قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[2].

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» حديث حسن رواه الترمذي وغيره[4].

يقول أبو حامد الغزالي عن الكلام فيما لا يعني: «إنّك مضيع به زمانك، ومحاسب على عمل لسانك، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر، ربّما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه... بل رأس مال العبد أوقاته، ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه، و لم يدّخر بها ثوابا في الآخرة، فقد ضيّع رأس ماله»[5].

وقد أشار إلى هذه الآفة ابن قدامة المقدسي في كتابه (مختصر منهاج القاصدين) في قوله: «واعلم أنه من عرف قدر زمانه، وأنه رأس ماله، لم ينفعه إلاّ في فائدة، وهذه المعرفة توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعني، كان كمن قدر على أخذ جوهرة، فأخذ عوضها مدرة، وهذا خسران العمر»[6].

أما عن ماهيته فيقول أبو حامد الغزالي: «وحدّ الكلام فيما لا يعنيك، أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم، و لم تستضر به في حال ولا مال،مثاله أن تجلس مع قوم،

---

1 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 681.

2 ــ سورة الإسراء، الآية: 36.

3 ــ سورة المائدة، الآية: 101.

4 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 68، ص 47.

5 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 254.

6 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 75.

فتذكر لهم أسفارك، وما رأيت فيها... فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، ولا تزكية نفس، من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء ممّا خلقه الله تعالى، فأنت مع ذلك كلّه مضيع زمانك، وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها»[1].

وأما عن سببه الباعث عليه وكيفية علاجه؛ فتبيانهما عند الإمام أبي حامد الغزالي في قوله: «وأما سببه الباعث عليه، فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد، أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها. وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة، وأنّ أنفاسه رأس ماله، وأنّ لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين, فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين، هذا علاجه من حيث العلم، وأما من حيث العمل، فالعزلة، أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه، حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه، وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا»[2].

والتكلم فيما لا يعني من المكروهات، وإن اختلف في حكمه كما أورد ذلك ابن المنذر وغيره: «وقد اختلف السلف: هل في حقه كلام مباح متساوي الطرفين؟ على قولين: أحدهما: أنه لا يخلو كل ما يُتَكَلَّمُ به، إما أن يكون له أو عليه وليس في حقه شيء لا له ولا عليه، وقد قيل: كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ما كان من ذكر الله وما والاه. وقد قالت طائفة: بل هذا الكلام مباح: لا له ولا عليه، كما في حركات الجوارح، وقد قيل: لأن كثيرا من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي، وهذا شأن المباح. والتحقيق أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين، بل إما راجحة أو مرجوحة»[3].

ومنه فالأولى ترك الحديث الذي لا يعني، وعدم المشاركة في كلام لا يخص المرء، لأنهما يورثان الإحراج نتيجة سماع المتكلم ما لا يرضيه.

---

1 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 255.

2 ــ المصدر نفسه، ج 3، ص 256.

3 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، ص 43.

18.2.6 المدح والتزكية:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[1].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال: «أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ» متفق عليه[2].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأثنى عليه رجلا خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ — يَقُولُهُ مِرَارًا — إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا» متفق عليه[3].

وعن همام بن الحارث، عن المقداد رضي الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضي الله عنه، فَعَمِدَ المقداد، فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال عثمان: ما شأنك؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِم التُّرَابَ» رواه مسلم[4].

يقول الإمام النووي: «فهذه الأحاديث في النهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة، قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين، ورياضة نفس، ومعرفة تامة بحيث لا يفتن، ولا يغتر بذلك، ولا تلعب به نفسه، فليس بحرام ولا مكروه، وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة»[5].

والمدح هو وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها يكون نعتا حميدا؛ وهذا يصح من المولى في حقّ عبده، فقد قال الله تعالى في حق عبد أيوب عليه الصلاة

---

1 — سورة النجم، الآية: 31.

2 — الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الحديث رقم 1797، ص 432 وما بعدها.

3 — المصدر نفسه، الحديث رقم 1798، ص 433.

4 — المصدر نفسه، الحديث رقم 1799، ص 433.

5 — المصدر نفسه، ص 433.

والسلام:﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1]، وقد قال تعالى لنبيه محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]. وقال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[3]. فعلى هذا يجوز مدح الإنسان بما فيه من الأخلاق الحميدة[4].

وقد أورد الإمام أبو حامد الغزالي آفات المدح في قوله: «والمدح يدخله ست آفات، أربع في المادح واثنتان في الممدوح، فأما المادح:

فالأولى: أنه قد يفرط؛ فينتهي به إلى الكذب...

الثانية: أنه قد يدخله الرياء، فإنه بالمدح مظهر للحب؛ وقد لا يكون مظهرا له، ولا معتقد الجميع ما يقوله، فيصير به مرائيا منافقا.

الثالثة: إنه قد يقول ما لا يتحققه، ولا سبيل له إلى الإطلاع عليه...

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز... فالظالم ينبغي أن يذمّ ليغتم؛ ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين:

أحدهما: أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا، وهما مهلكان...

الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر، ورضي عن نفسه، ومن أعجب بنفسه قل تشمّره»[5].

فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس، فقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار ــ رضي الله عنهم ــ وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم... ومن أحسن ما مدحه به حسان ــ رضي الله عنه ــ قوله:

---

1 ــ سورة ص، الآية: 44.

2 ــ سورة القلم، الآية: 4.

3 ــ سورة المؤمنون، الآيتان 1، 2.

4 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 370.

5 ــ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 311 وما بعدها.

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَقَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ[1]

وخير ما يقول المسلم إذا زكّي، قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُون، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُون، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّون» رواه البخاري وصحح إسناده الألباني[2].

1 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 370.

2 ــ سعد بن علي بن وهف القحطاني، حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مؤسسة الحرمين الخيرية، الطبعة السابعة عشرة، سنة 1416هـ، ص 133 وما بعدها.

7. مدح الكلام وفضله على الصمت:

كان إبراهيم بن أدهم يقول: إنّ الله تعالى أنطق اللسان بالبيان وافتتحه بالكلام؛ وجعل القلوب أوعية للعلم؛ ولولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهيمة؛ يومئ بالرأس ويشير باليد[1].

قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم؛ والمتخلّجة في نفوسهم؛ والمتصلة بخواطرهم؛ والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية؛ وبعيدة وحشية؛ ومحجوبة مكنونة؛ وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه؛ ولا حاجة أخيه وخليطه؛ ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره؛ وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها؛ وإخبارهم عنها؛ واستعمالهم إيّاها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم؛ وتجليها للعقل؛ وتجعل الخفي منها ظاهرا؛ والغائب شاهدا؛ والبعيد قريبا؛ وهي التي تلخص الملتبس؛ وتحلّ المنعقد؛ وتجعل المهمل مقيدا؛ والمجهول معروفا؛ والوحشي مألوفا؛ والغفل موسوما؛ والموسوم معلوما؛ وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الإختصار؛ ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح؛ وكانت الإشارة أبين وأنور؛ كان أنفع وأنجع؛ والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه؛ ويدعو إليه ويحثّ عليه؛ بذلك نطق القرآن؛وبذلك تفاخرت العرب؛ وتفاضلت أصناف العجم[2].

وقالوا: البيان بصر؛ والعيّ عمي؛ كما أنّ العلم بصر؛ والجهل عمي، والبيان من نتاج العلم، والعيّ من نتاج الجهل[3].

ومدحه غيرهم بقوله: كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العمل؛ فذلك البيان الذي ذكره الله عز وجل في كتابه؛ ومنّ على عباده؛

---

1 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، ص 58.

2 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 75 .

3 ــ المصدر نفسه، ج1، ص77.

فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1]. وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم قيم الجمال؟ فقال: في اللسان، يريد البيان[2].

والصمت يمدح بالمنطق؛ ولا يمدح المنطق بالصمت؛ وفي هذا دليل على مكانة الكلام؛ أوضح بعض الحكماء المقولة السابقة بقولهم: إنّك تمدح الصّمت بالمنطق؛ ولا تمدح المنطق بالصمت، وما عبّر عن الشيء فهو أفضل منه.

والكلام نعمة من الله عز وجل؛ أنعم بها على الإنسان وميّزه عن غيره من سائر المخلوقات، قال جل وعلا:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وكفى به مفخرة ونعمة أن الله سبحانه نسب تعليم الكلام والبيان إلى نفسه العلية. قال البيضاوي موضحا: «.. وعلّمه البيان إيماء بأن خلق البشر وما يميزه به عن سائر الحيوان من البيان؛ وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع» ولو البيان ــ وهو نعمة جليلة ــ لما استطاع الإنسان التواصل مع غيره؛ واكتساب الصفة الاجتماعية... ما الإنسان لو لا اللسان إلاّ صورة ممثلة؛ أو بهيمة مرسلة؛ أو ضالة مهملة... وقيل: اعلم أن كمال العلم هو الإنسان؛ وكمال الإنسان هو اللسان؛ وجماله هو البيان... والكلام قدرة مخلوقة في الإنسان؛ يستطيع بواسطتها الاتصال بالآخرين؛ ولو فقه الإنسان هذه القدرة لكان أبكما؛ وبذلك يتحول من إنسان سوي إلى امرئ معوق[3].

وقال الذين فضّلوا المنطق: إنما بعثت الأنبياء بالكلام؛ ولم يبعثوا بالسّكوت؛ وبالكلام وصف فضل الصمت؛ ولم يوصف القول بالصّمت، وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ ويعظم الله ويسبح بحمده... والعلم كلّه لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلاّ

1 ــ سورة الرحمن، الآيات: 1 ــ 4.

2 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 123.

3 ــ د. محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة، ص . ص 127. 130 .

اللّسان، فنفع المنطق عامّ لقائله وسامعه ومن بلّغه؛ ونفع الصّمت خاص بفاعله... وقال بكر بن عبد الله المزني: طول الصمت حبسة، وقالوا: الصمت نوم والكلام يقظة[1].

وكيف يكون الصمت أنفع؛ والإيثار له أفضل؛ ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه، ونفع الكلام يعمّ ويخصّ، والرّواة لم ترو سكوت الصامتين؛ كما روت كلام الناطقين؛ وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت، ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة، وطول الصمت يفسد اللسان... وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره؛ وتبلدت نفسه؛ وفسد حسّه... واللسان إذا كثرت تقليبه رقّ ولان؛وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسأ (يبس وصلب) وغلظ[2].

وقال ابن المقفع: إذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه؛ ولانت عذبته[3].

وقال عبد الله بن الحسن لزيد بن علي: الصمت خير من الكلام؟ قال: أخرى الله المساكتة، فما أفسدها للبيان؛ وأجلبها للحصر[4].

وقال بعض الفلاسفة: الصمت نتيجة الموت؛ كما أن المنطق نتيجة الحياة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا» ولم يقل اسكتوا تعرفوا،وقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك:﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[5]. ولم يقل فلمّا سكت عنده[6].

اختصم رجلان إلى سعيد بن المسيب في النطق والصمت، فقال: بماذا أبين لكما ذلك؟ فقالا: بالبيان، فقال: إن الفضل له[7].

وقد قال أحد الشعراء:

خُلِقَ اللِّسَانُ لِنُطْقِهِ وَبَيَانِهِ ... لَا لِلسُّكُوتِ وَذَلِكَ حَظُّ الأَخْرَسِ

---

1 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 474.

2 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 272.

3 ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص 370.

4 ــ الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص 313 .

5 ــ سورة يوسف، الآية: 54.

6 ــ الثعالبي، اللطائف والظرائف، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ ــ1992م، ص 108.

7 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 68.

فَإِذَا جَلَسْتَ فَكُنْ مُجِيبًا سَائِلاً إِنَّ الكَلاَمَ يَزِينُ رَبَّ المَجْلِسِ[1]

قال الأحنف: الصمت لا يعدو فضله صاحبه؛ والكلام ينتفع به من يسمعه؛ ويرجع إليه فضله[2].

ومما أنشدوه في هذا الباب قول ابن قتيبة:

كَفَى بِالمَرْءِ عَيًّا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانْ

وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنٍ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الحُسْنَ بِالبَيَانْ[3]

وقد حاكاه بعض المحدثين بقوله:

وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِحُسْنٍ إِذَا مَا أَخْطَأَ الحُسْنَ البَيَانُ

كَفَى بِالمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانُ[4]

8. مدح الصمت وفضله على الكلام:

ممّا ينبغي أن يفهم أن الصمت من آداب الحضرة الإلهية لقوله تعالى:﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5].

فالصمت حكمة؛ ومن صمت نجا؛ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بالصمت؛ ويعرف أن قليلا من الناس فاعله. ويُعد الصمت طريقا إلى الصحة النفسية؛ والكمال الأخلاقي والإنساني، الذي يؤثر الصمت على الكلام قد غسل باطنه من الشهوات والآفات؛ وتملى وتحلى بحقائق القرب من الله؛ وتأدب بكمال آداب العبودية، والصمت قدرة؛ والقدرة من الحكمة... والصمت هو مخالفة للنفس التي تتطلب شهوة الكلام؛ فهو نجاة من الهوى؛ وفوائده عديدة، فإذا كانت النجاة في صمت العالم؛ فما بالك إذا كان عن غير علم...وقد ورد الصمت في القرآن الكريم على أساس أنه حكمة لبعض أنبيائه في قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ

---

1 ــ المصدر السابق، المجلد الأول، ج1، ص 68.

2 ــ المصدر نفسه، المجلد الرابع، ج8، ص 144.

3 ــ ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الأول، ص 420.

4 ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص 315.

5 ــ سورة الأعراف، الآية: 204.

ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[1]. فالصمت آية من آيات الله وحكمة من حكمه... والصمت حرب على الغيبة والنميمة؛ ونوع من أنواع الرياضات الكبرى؛ لأنه مخالفة للنفس؛ ورعاية لها من الوقوع في براثن الشيطان؛ كما أنّه ترويض لجنوحها وتهذيب لأخلاقها، فبالصمت تتأدب النفس؛ فيحصل العلم؛ وبالعلم يصبح لك العمل؛ وبالعمل يحصل لك الزهد؛ وبالزهد تحدث الحكمة؛ وبالحكمة تحصل مخافة الله تعالى؛ وبالخوف من وعيد الله تعالى تحصل منازل القرب في الدنيا والآخرة... والصمت يكسب المحبة والوقار؛ومن حفظ لسانه أراح نفسه... وتورد هنا قول الأحنف بن قيس: الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق، وسلامة من فضول القول؛ وهيبة لصاحبه[2].

يقول الإمام علي ـــ رضي الله عنه ـــ:

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَالمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ[3]

كان أعرابي يجالس الشعبي فيطيل الصمت؛ فسئل عن طول صمته فقال: أسمع فأعلم؛ وأسكت فأسلم. وقالوا: لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب، وقال: مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ، وأخذ أبو بكر الصديق ـــ رحمه الله ـــ بطرف لسانه وقال: «هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ»[4].

ولا تسمع الناس يقولون: جلد فلان حين سكت؛ ولا قتل فلان حين صمت، ونسمعهم يقولون: جلد فلان حين قال كذا، وقتل حين قال كذا وكذا[5].

قال أبو عبيد الله كاتب المهدي: كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام، إنّ البلاء موكل بالمنطق. وقال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من فيك؛ فإنّما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد لتسمع أكثر ممّا تقول... وقال بعض

1 ـــ سورة مريم، الآية: 10.

2 ـــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص. ص 145. 150.

3 ـــ الإمام علي، ديوانه، ص 51.

4 ـــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 194.

5 ـــ المصدر نفسه، ج 1، ص 270.

الحكماء: حظّي من الصمت لي؛ ونفعه مقصور عليّ، وحظّي من الكلام لغيري؛ ووباله راجع عليّ[1].

حدّث محمد بن قاسم رواية قال: تكلّم أربعة من الملوك بأربع كلمات؛ كأنما رميت عن قوس واحدة. قال كسرى: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت. وقال ملك الهند: إذا تكلمت بكلمة ملكتني وكنت أملكها. وقال قيصر: لم أندم على ما لم أقل. وقد ندمت على ما قلت. وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشدّ من الندم على ترك القول[2].

وقد أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت[3]. وقال جريج: لو أن عبدا اختار لنفسه؛ ما اختار شيئا أفضل من الصمت[4]. وأخرج ابن باكويه؛ عن أحمد بن خالد عن أبيه قال: أدنى نفع الصّمت السلامة؛ وأدنى ضرر المنطق الندامة[5].

وقال علي ــ رضي الله عنه ــ: بكثرة الصمت تكون الهيبة[6].

وله من الشعر:

مَازَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ ... إِلاَّ يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتُ

إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فِضَّةٍ ... فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتُ[7]

وهذا أبو العتاهية يثني على الصمت بقوله:

إِنْ كَانَ يُعْجِبُكَ السُّكُوتُ فَإِنَّهُ ... قَدْ كَانَ يُعْجِبُ قَبْلَكَ الأَخْيَارَا

وَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً ... فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الكَلاَمِ مِرَارَا

إِنَّ السُّكُوتَ سَلاَمَةٌ وَلَرُبَّمَا ... زَرَعَ الكَلاَمُ عَدَاوَةً وَضِرَارَا[8]

---

1 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 472 و ما بعدها.

2 ــ ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 308.

3 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 154.

4 ــ المرجع نفسه، ص 155.

5 ــ المرجع نفسه، ص 160.

6 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 149.

7 ــ الإمام علي، ديوانه، ص 51.

8 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 542.

وحاكاه الشافعي في مدح الصمت بقوله:

وَجَدْتُ سُكُوتِي مَتْجَرًا فَلَزِمْتُهُ إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحًا فَلَسْتُ بِخَاسِرِ

وَمَا الصَّمْتُ إِلاَّ فِي الرِّجَالِ مَتَاجِرُ وَتَاجِرُهُ يَعْلُو عَلَى كُلِّ تَاجِرِ[1]

وبذلك وصّى لقمان ابنه قائلا: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك[2].

وقد أجاد بعضهم في مدحه للصمت بقوله: في الصمت سبعة آلاف خير، وقد اجتمع ذلك في سبع كلمات في كل منها ألف: فالصمت عبادة من غير عناء وتعب، وزينة من غير حلي، وهيبة من غير سلطان، وحصن من غير حائط، والاستغناء عن الاعتذار، مع الراحة، وستر العيوب[3].

وها هو شارل ديغول يمدح الصمت على حساب ذم الكلام فيقول: «لا شيء يقوي السلطة مثل الصمت، فالكلام يضعف التفكير، ويبعد الشجاعة، ويشتت التركيز المطلوب»[4].

9. بين الكلام والصمت:

قال الله تعالى:﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه[6].

---

1 ــ الإمام الشافعي، ديوانه المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتقديم وتعليق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ط، سنة 1988م، ص 73.

2 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 149 .

3 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من خلال الحكم والأمثال، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2002م، الجزء الثاني، ص 413.

4 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 415.

5 ــ سورة النساء، الآية: 114.

6 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1519، ص 371.

فعلى كل مكلف أن يلتزم الصمت ويعرض عن كل كلام غير مباح؛ لأنه لو صرف زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح له من نفحات رحمة الله ما يعظم جدواه؛ فالصامت سالم إلاّ إذا دعاه داع إلى الكلام فيه مصلحة دينية كانت أو دنيوية، ومعنى ذلك أن يملك لسانه ويسيطر على زمامه بقوة؛ فيكبحه حيث يجب الصمت؛ ويضبطه حيث يريد المقال.

وقال الحارث المحاسبي (في كتابة المسائل في أعمال القلوب والجوارح): «الصمت أسلم، والكلام أفضل عند الله تعالى إذا أريد به وجهه، وقصد به مع الإصابة... فالإفراط في الصمت يضير إلاّ أن يسكت عن محرم؛ أو ما لا يعرف من القول... فإذا سلم الكلام من جميع الآفات سكت عنه أيضا؛ إلا أن ينطق في موضعه، وفي أوانه، ولمن ينتفع به، وإلا فالصمت أولى به.» [1].

قيل لبعضهم: السكوت أفضل أم النطق؟ فقال: السكوت حتّى يحتاج إلى النطق؛ فإذا احتيج إلى النطق فالسكوت حرام[2].

وقال الشيخ أبو هلال العسكري: «الكلام حسن، فإذا جاوز المقدار كان إهدارا، والصمت حسن، فإذا جاوز المقدار كان عيّا»[3].

فمن الكلام ما هو نفع محض حكمه الوجوب؛ فيه يبلغ المرء رضى ربه ورضوانه، وقد بيّنه الربيع بن خيثم حيث قال: «أقلل الكلام إلاّ من تسع: تكبير وتهليل وتسبيح وتحميد وسؤالك الخير وتعوّذك من الشّر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءتك القرآن»[4].

ومن محاسن الكلام: اعقل لسانك إلاّ حقّ توضّحه أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها أو نعمة تشكرها[5].

---

1 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، فلسفة الصمت والكلام، ص 143 وما بعدها.

2 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 69.

3 ــ الشيخ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 22.

4 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 150.

5 ــ ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 481.

وممّا يجب السكوت عنه كل كلام غير صائب، لا يعود على الإنسان إلاّ بالخسران، فذاك الصمت الممدوح، يقول الدكتور محمد كشاش: «الصّمت المرغوب فيه خير من كلام محرف ومنطق غير صائب وفضول لا طائل تحته، وليس خيرا من كلام بليغ ومنطق سديد»[1].

فينبغي على المرء أن يكون في كلامه النفع المحض، وإلاّ فالصمت أولى به، وإعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الأجر.

روي عن عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه، عن الشعبي قال: قال عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ: «البر ثلاثة: المنطق والنظر والصمت، فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لَغَا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سَهَا، ومن كان صمته في غير فكر فقد لَهَا»[2].

وفي ذلك المعنى قال أبو العتاهية:

الصَّمْتُ فِي غَيْرِ فِكْرَةٍ سَهْوٌ وَالقَوْلُ فِي غَيْرِ حِكْمَةٍ لَغْوُ[3]

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط ــ وهم أهل الصراط المستقيم ــ كفّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة فضلا عن أنه تضره في آخرته»[4].

فحفظ اللسان إنّما يكون عن الباطل، أمّا إذا الكلام في وقته؛ عندها يستلزم إطلاقه، يقول أبو العتاهية:

تَمَسَّكْ بِالتُّقَى حَتَّى تَمُوتَ وَلَا تَدَعِ الكَلَامَ أَوِ السُّكُوتَا
وَقُلْ حُسْنَاً وَأَمْسِكْ عَنْ قَبِيحٍ وَلَا تَنْفَكَّ عَنْ سُوءٍ صَمُوتَا[5]

---

1 ــ د. محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة، ص 132.

2 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص297.

3 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 430.

4 ــ الإمام ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 167 وما بعدها.

5 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 66.

وهو القائل:

مَا أَمْكَنَ القَوْل بِالصَّوَابِ فَقُلْ وَاحْذَرْ مَا قُلْتَ مَوْضِعَ الضَّرَر[1]

وله أيضا:

عَلَيْكَ بِمَا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَى وَبِالصَّمْتِ إِلاَّ عَنْ جَمِيلٍ تَقُولُهُ[2]

قيل ليونس بن حبيب: السكوت أفضل أم الكلام؟ فقال: السكوت على الخنا أفضل من الكلام بالخطأ[3].

وقد قال عليّ ــ رضي الله عنه ــ:

وَبِالعَوْرَاءِ لاَ تَنْطِقْ وَلَكِنْ بِمَا يرضى الإله مِنَ الكَلاَمِ[4]

وبناء على ما تقدم تتجلى حقيقة كل من الكلام والصمت ومواطن مدح كلّ منهما وذمّه، وتفاضلهما حسب مقتضى الحال: فكل منهما جميل بصاحبه إذا كان في حينه، قال أبو العتاهية:

وَفِي الصَّمْتِ المُبَلِّغِ عَنْكَ حُكْمُ كَمَا أَنَّ الكَلاَمَ يَكُونُ حُكْمَا[5]

وهذا أبو الدرداء يقول: «لا خير في الحياة إلاّ لأحد رجلين: منصت واع، أو متكلم عالم»[6].

وأعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم: الكلام في الخير كلّه أفضل من الصمت، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام[7].

---

1 ــ المصدر السابق، ص 138.

2 ــ المصدر نفسه، ص 331 .

3 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 69.

4 ــ الإمام علي، ديوانه، ص 136.

5 ــ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص 358.

6 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 149.

7 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 475.

الفصل الثاني

الكلام والصمت في الأمثال الشعبية الجزائرية

1. خطورة اللسان
2. الدعوة إلى حفظ اللسان
3. فضل حفظ اللسان
4. تمييز الكلام قبل التلفظ به
5. التروي قبل الكلام
6. حكمة الصمت
7. الحث على الصمت وتجنب الثرثرة
8. الصامت من الرجال والثرثار
9. المرأة والكلام
10. تجاهل كلام السفهاء
11. الغيبة وهتك الأعراض
12. النميمة والسعاية بين الناس
13. اللسان البذي
14. شناعة تتبع عورات الآخرين
15. السخرية والإستهزاء
16. المضايقات على سبيل المزاح
17. أثر الكلمة وتأثيرها في النفوس
18. خلود الكلام الجارح في الذاكرة
19. جرح اللسان
20. نذالة الكذب
21. افتضاح الكذاب
22. التشدق والتكلف والتقعر
23. ذو الوجهين
24. مخالفة اللسان لما يضمره القلب
25. التدخل فيما لا يعني
26. الخطأ في فحوى الكلام
27. المدح والثناء
28. التفوه بالبلاهات والأباطيل
29. تسرّب الأحاديث وتفشي الأسرار
30. حفظ الأسرار
31. المن بالعطاء والصدقة
32. الوفاء بالوعد والالتزام بالعهد
33. احترام الكلمة
34. وجوب الالتزام بالكلمة
35. التحذير من ترك كلمة الحق
36. قول الحقيقة
37. النصيحة

1. خطورة اللسان:

ثْلاَثَة عُدْيَانِي: عَيْنِي، وَدْنِي وَلْسَانِي... لُو كَانْ مَا هُمَا تَدْخُلْ قَبْرِي هَانِي[1].

يضرب في تجنب سماع أو رؤية أو قول الأذى الذي يترتب عنه ضرر الآخرين[2].

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ» وسئل عن أكثر ما يدخل النـــاس النار؛ فقال: «الفَمُ وَالفَرْجُ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3].

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ يَـــضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ» متفق عليه[4].

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ» رواه الترمـــذي وقـــال: حديث حسن[5].

وعن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال:« إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ؛ تَقُولُ: اِتَّقِ اللهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَإِن اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا؛ وَإِن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» رواه الترمذي [6].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه : « كُفَّ عَلَيْكَ هَـــذَا» مشيرا إلى لسانه، فقال معاذ: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقـــال: «ثَكِلَتْـــكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْـــسِنَتِهِمْ؟» رواه الترمـــذي وقال: حديث حسن صحيح[7].

وقد تمثلت العرب في هذا المعنى بقولها: مَنْ وُقِيَ شَرَّ لَقْلَقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِـــهِ فَقَـــدْ

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 45.

2 ــ المرجع نفسه، ص 45.

3 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد الرسلين، الحديث رقم 632، ص 196 و ما بعدها.

4 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1521، ص 371.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1527، ص 372.

6 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1529، ص 372.

7 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1530، ص 373 .

وُقِيَ[1]. فاللَّقْلَقُ: اللِّسَانُ، والقَبْقَبُ: البَطْنُ، والذَّبْذَبُ: الفَرْجُ[2].

قال العلامة ابن عثيمين ـــ رحمة الله تعالى عليه ـــ في شرحه للأحاديث المتقدمة : « الذي بين لحييه هو اللسان؛ والذي بين الرجلين هو الفرج، سواء للرجل أو المرأة؛ يعني من حفظ لسانه وحفظ فرجه؛ حفظ لسانه عن قول المحرم... وحفظ فرجه من الزنى واللواط ووسائل ذلك؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم يضمن له الجنة، يعني أنّ جزاءه هو الجنة إذا حفظت لسانك وحفظت فرجك؛ فزلة اللسان كزلة الفرج، خطيرة جدّا، وإنما قرن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما؛ لأن في اللسان شهوة الكلام، كثير من الناس يتنطع ويتلذذ إذا تكلم في أعراض الناس...» [3]. وقال في موضع آخر: « ومن حفظ اللسان؛ أن يحفظ لسانه عن الكذب والغش وقول الزور والنميمة والغيبة؛ وكل قول يبعده من الله عز وجل ويوجب عليه العذاب؛ فإنه يجب عليه أن يتنزه منه»[4].

والمثل الفصيح يقول: البلاء موكل بالمنطق[5].، وذاك قول الشاعر:

اِحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فَتُبْتَلَى إِنَّ البَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ[6]

فليحذر الإنسان من لسانه؛ وليعمل جاهدا أن يكون لسانه قائده إلى الجنة، وموصله إلى رضوان الله تعالى. وعن شره يقول ميخائيل نعيمة:سمّ الأفعى في نابها؛ وسمّ النحلة في حمأتها؛ أمّا الإنسان فسمّه في عينه ولسانه[7].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الجَسَدِ إِلاَّ يَشْكُو إِلَى اللهِ اللِّسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ»[8]. ومّما جاء في الخبر أن اللسان يقول كل صباح ومساء للجوارح:

---

1 ـــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الثاني، ص 332.

2 ـــ المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 332.

3 ـــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 595.

4 ـــ المرجع نفسه، ج2، ص 599.

5 ـــ الشيخ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 207.

6 ـــ المصدر نفسه، ج1، ص 207.

7 ـــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من خلال الحكم والأمثال، ج1، ص 143.

8 ـــ محمود بن الجميل، المختارة في الأخلاق والبر والصلة من صحيحة الألباني، ص 39.

كيف أنتن؟ فيقلن: بخير إن تركتنا[1] وقد أنشد أحدهم:

إِذَا فَكَّـــرَ الإِنْـــسَانُ أَلْفَـــى لِـــسَانَهُ عَدُوًّا لَـــهُ يَجْـــنِي عَلَيْـــهِ بِمَـــا يَجْـــنِي

فَإِنْ هُـــوَ لَمْ يُطْلِقْـــهُ أَبْقَـــاهُ مُطْلَقًـــا وَإِنْ هُوَ لَمْ يَسْجُنْهُ أَلْقَاهُ فِي السِّجْنِ[2]

2. الدعوة إلى حفظ اللسان:

لْسَانَكْ سُلْطَانَكْ؛ صُنْتُهْ صَانَكْ؛ هُنْتُه هَانَكْ[3].

ويقال أيضا: لْسَانَكْ حْصَانَكْ؛ إِذَا صُنْتُه صَانَكْ، وَإِنْ خُنْتُه خَانَكْ[4]. وفي مـــصر يردد المثل بلفظ : لِسَانَكْ حُصَانَكْ... إِنْ صُنْتُه صَانِكْ وَإِنْ هُنْتُه هَانِكْ[5].

وصف بعض البلغاء اللسان فقال: اللسان أداة يظهر بها حسن البيان؛ وظاهر يخبر عن ضمير؛ وشاهد ينبئك عن غائب؛ وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الحقائق، ومعز به الحزن، ومؤنس تذهب به الوحشة، وواعظ ينهي عن القبيح، ومزين يدعوا إلى الحـــسن، وزارع يـــزرع المـــودة، وحاصد يستأصل الضغينة، وملهِ يونق الأسماع[6].

يقول أكثم بن صيفي: مقتل الرجل بين فكيه[7]، ويقول الشاعر:

رَأَيْـــتُ اللِّـــسَانَ عَلَـــى أَهْلِـــهِ إِذَا سَاسَـــهُ الجَهْـــلُ لَيْثًـــا مُغِـــيرَا[8]

ويحاكي ذلك المثل الفصيح القائل: إِيَّاكَ وَأَنْ يَضْرِبَ لِسَانُكَ عُنُقَكَ[9].

---

1 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 149.

2 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، مراجعة وتبويب الدكتور حسن عاصي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1413 هـ - 1992م ، ص 40.

3 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 101.

4 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 163.

5 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، شركة سعيد رأفت للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1987م، ص 232.

6 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 75.

7 ــ الشيخ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 228 .

8 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 228.

9 ــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الأول، ص 174.

ولله درّ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنهم ـــ إذ يقول:

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ[1]

ومنه قول أنس بن مالك: لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحترز من لسانه ولسان غيره[2].

يقول بعض الشعراء ناصحا:

اِحْفَظْ لِسَانَكَ وَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ اللِّسَانَ هُوَ العَدُوُّ الكَاشِحُ
وَزِنِ الكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ بِمَجْلِسٍ فَإِذَا اسْتَوَى فَهُنَاكَ حِلْمُكَ رَاجِحُ[3]

والحكمة العربية تقول: ما حبس الله جارحة في حصن أوثق من اللسان: الأسنان أمامه؛ والشفتان من وراء ذلك؛ واللهاة مطبقة عليه؛ والقلب من وراء ذلك؛ فاتّق الله ولا تطلق هذا المحبوس من حبسه إلاّ إذا أمنت شرّه[4].

وقد قيل: ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه؛ ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه[5].

وفي هذا المعنى يقول أحدهم:

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسَانِ مُجْتَهِدَا فَإِنَّ جُلَّ الهَلَاكِ فِي زَلَلِهِ[6]

---

1 ـــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 473.

2 ـــ المصدر نفسه، ج3، ص 81.

3 ـــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج1، ص 378.

4 ـــ د. روحي البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الرابعة، سنة 2001م، ص 541.

5 ـــ ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 307.

6 ـــ المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 307.

ولبعضهم في المعنى:

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ عَلِمْتُ مَكَانَهُ أَحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلَّلِ[1].

وقال بعضهم: اللّسان مثل السَّبُع إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شرّه[2]. وممّا أنشدوه في هذا الباب قول الإمام الشافعي:

اِحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

كَمْ فِي المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الأَقْرَانُ[3]

3. فضل حفظ اللسان:

الفُمْ المَزْمُومْ مَا يَدُّخْلُو الدَّبَّانْ[4].

المَزْمُومْ بمعنى المغلق؛ ولفظه: الدَّبَّانْ تعني الذُّبَاب، يقال هذا المثل في مدح الصّمت والتّحذير من الثرثرة[5]. ويحاكيه المثل الشعبي الجزائري القائل: الْفُمْ الْمَزْمُومْ مَا تَدُّخْلَهْ دَبَّانَة؛ وَالْفُمْ الْمَحْلُولْ تْعَشَّشْ فِيهْ[6]. يقال هذا في فضل الصّمت؛ وذاك معنى المثل الشّعبي الجزائري: شَدّْ قَمْقُومَكْ لَا حَدّْ يْلُومَكْ[7]. والمثل الإيطالي يقول: لم تستطع الذّبابة دخول فم مغلق[8]. والبرازيليون يتمثّلون بقولهم: الفم المطبق لا تدخله البعوضة[9]. ويقول سرفانتس: الفم المطبق لا يدخله الذّباب[10]. والمثل التّركي يقول: من كبح لسانه حفظ رأسه[11]. والمثل الفصيح يقول: خير الخلال حفظ اللّسان[12]. وقد روي عن عبد الله بن

---

1 ــ المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 308.

2 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 148.

3 ــ الإمام الشافعي، ديوانه، ص 140.

4 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية ــ الجزائر، سنة 1992م، ص 144.

5 ــ المرجع نفسه، ص 145.

6 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 92.

7 ــ المرجع نفسه، ص 92.

8 ــ رابح خدوسي، موسوعة العالم في الأمثال والحكم، ص 219.

9 ــ المرجع نفسه، ص 219.

10 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، ص 40.

11 ــ رابح خدوسي، موسوعة العالم في الأمثال والحكم، ص 214.

12 ــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الأول، ص 586.

مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما على الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان[1]. وقد أحسن من قال: رحم الله امرءا أطلق ما بين كفيه، وأمسك ما بين فكيه[2]. ولله درّ أبي الفتح البستي حيث يقول في هذا المثل:

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلاَمُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدِيدِ سَدَادُ[3]

واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي فقال:

إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَمَا أَرَاكَ جَاهِلُ فَأَعْرِضْ فَفِي تَرْكِ الجَوَابِ جَوَابُ
وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي القَوْلِ فَاسْكُتْ فَإِنَّمَا سُكُوتُكَ عَنْ غَيْرِ الصَّوَابِ صَوَابُ[4]

ومن ذلك قول العرب: من عضّ على شِبْدِعِهِ أمن الآثام[5].

ومن بواكير ما روي في حفظ اللسان قول امرئ القيس:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزَنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ[6]

ووصف بعضهم العاقل بقوله : أن يكون عالما بأهل زمانه، حافظا للسانه، مقبلا على شأنه[7].

وفي الدعوة لضبط اللسان قولهم: رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدُ لِسَانٍ[8].

ولله درّ إبراهيم بن هرمة إذ يقول:

فَكَائِنْ تَرَى مِنْ وَافِرِ العِرْضِ صَامِتًا وَآخَرُ أَرْدَى نَفْسَهُ إِنْ تَكَلَّمَا[9]

---

1 ــ المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 279.

2 ــ المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 286.

3 ــ المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 286 .

4 ــ المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 286 .

5 ــ المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 351.

6 ــ عبد القادر صالح، الأمثال العربية، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ ــ 2002م، ص 44.

7 ــ المرجع نفسه ، ص 45.

8 ــ المرجع نفسه، ص 168.

9 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 165.

4. تمييز الكلام قبل التلفظ به:

الْكَلْمَة مَيَّزْهَا قْبَلْ مَا تْخَرَجْ مَنْ فُمَّكْ لَا تْعُودْ لِكْ غَلْطَة[1].

والمثل السوري يقول: لفّ لسانك سبع مرات قبل ما تحكي[2]. ومثل سوري آخر يقول: قبل ما تطلع الكلمة غربلها[3].

وفي هذا المعنى يتمثل الفرنسيون بقولهم: ينبغي أن تدير لسانك في فمك سبع مرات قبل أن تتكلم[4]. والمثل الإسباني يقول: الكلام دون تفكير كالرماية دون تصويب[5]؛ والمثل السوري يقول: الكلمة الضايعة يا حسرة قايلها[6]، ولله درّ الشيخ عبد الرحمن المجدوب إذ يقول:

لَا تْسَرَّجْ حَتَّى تَلَجَّمْ وَاعْقَدْ عُقْدَة صْحِيحَة
لَا تَتْكَلَّمْ حَتَّى تْخَمَّمْ لَا تْعُودْ لِكْ فْضِيحَة[7]

فيجب على كل مكلف أن يميز كلامه قبل التلفظ به؛ فكم من كلمة أفرحت؛ وأخرى أحزنت؛ وكم من كلمة فرقت وأخرى جمعت؛ وكم من كلمة أقامت وأخرى هدمت؛ وكم من كلمة أضحكت وأخرى أبكت، وكم من كلمة انشرح لها الصدر وأنس بها الفؤاد وأحس بسببها سعة الدنيا؛ وأخرى انقبضت لها النفس واستوحشها القلب؛ وألقت قائلها في ضيق وضنك.

فإذا كان الناس يعتنون بكلماتهم من منطق النفع الدنيوي وحيازة الشرف؛ فإن المسلم يعتني بكلماته من منطق الإستجابة الإيمانية لأوامر دينه وتوجيهات شريعته. والمثل

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 160.

2 ــ سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، ص 118.

3 ــ المصدر نفسه، ص 122.

4 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 220.

5 ــ المرجع نفسه، ص 212.

6 ــ سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، ص 160.

7 ــ الشيخ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب، تصنيف نور الدين عبد القادر، المطبعة التعالبية، الجزائر، د.ط ، د. ت، ص 12.

الشعبي الجزائري يقول: كَلْمَة عْلِيهَا مَلَكْ وُأخْرَى عْلِيهَا شِيطَانْ[1].

إنّ الكلمة لها شأن عظيم؛ فلربما كانت سبب الرضوان أو كانت سبب الحرمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» متفق عليه[2].

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» رواه البخاري[3].

وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» رواه مالك في (الموطأ) والترمذي وقال : حديث حسن صحيح[4].

يقول العلامة ابن عثيمين ـــ رحمة الله تعالى عليه ـــ: « الكلمة "مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا" يعني لا يتأكد، ينقل ما يسمع ... فتجده يتكلم بالكلمة ولا يتبين و لا يتثبت ولا يدرس معناه ولا يدرس ماذا توصل إليه، والعياذ بالله يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب؛ ومسافة ما بين المشرق والمغرب بعيدة جدا؛ نصف الكرة الأرضية، ومع ذلك كلمة واحدة زلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، وهذا يدل على وجوب التأكد مما تتكلم به؛ سواء نقلته إلى غيرك أو نقلته عن غيرك، تثبت؛ اصبر؛ ولا تستعجل؛ ما الذي يوجب لك أن تستعجل في المقال؟ اصبر حتى تثبت ويتبين لك الأمر؛ ثم إن رأيت مصلحة في الحديث فتحدث؛ وإذا لم تر مصلحة في الحديث فاسكت[5]».

---

1 ـــ عبد الرحمن بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 172 .

2 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1522، ص 371.

3 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1523، ص 372.

4 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1524، ص 372.

5 ـــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 595 و ما بعدها.

فعلى كل إنسان أن يضبط لسانه؛ ويحاسب نفسه قبل أن يتلفظ؛ فما كان خيرا تكلم به؛ وما كان سوءا سكت عنه؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

وإذا فات المسلم أن يزن كلمته التي ينطق بها؛ فكم يترتب على ذلك من أخطاء وآثار وجراح ومشاكل قد لا تنتهي؛ فينبغي للمسلم أن يزن كلمته وأن يحذر الإسترسال في الكلام؛ فإن للكلام سقطات.

قال الشافعي ــ رضي الله تعالى عنه ــ : «إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم؛ وإن شك لم يتكلم حتى تظهر»[2].

وقد قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وأمّا اللفظات فحفظها بأن لا يخرج كلمة ضائعة؛ بل لا يتكلم إلاّ فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه؛ فإن أراد أن يتكلم بالكلمة نظر؛ هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر؛ هل تفوته بها كلمة هي أربح منها؛ فلا يضيعها بهذه[3]».

يقول الشيخ عبد الرحمن المجدوب:

الزَّيتْ يُخْرَجْ مْنَ الزِّيتُونَة ... وَالْفَاهَمْ يَفْهَمْ لُغَاتْ الطِّيرْ

أَلِّي مَا تُخْرَجْ كَلْمْتُه مِيزُونَة ... يَجْحُرْهَا فِي ضْمِيرُه خِيرْ[4]

وقال الحسن البصري: لسان العاقل من وراء قلبه؛ فإذا أراد الكلام تفكر؛ فإن كان له قال وإن كان عليه سكت، وقلب الأحمق من وراء لسانه؛ فإذا أراد أن يقول قال [فإن كان له سكت، وإن كان عليه قال] [5].

---

1 ــ سورة الأحزاب، الآيتان: 70، 71.

2 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 147.

3 ــ الإمام ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 167.

4 ــ الشيخ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور، ص 77 .

5 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 240 و ما بعدها.

وفي هذا المعنى أنشد الكريزي:

وَكُلٌّ فُـؤَادَكَ بِاللِّـسَانِ وَقُـلْ لَـهُ إِنَّ الكَـلَامَ عَلَيْكُمَـا مَـوْزُونُ
فَزِنَـاهُ وَلْيَـكُ مُحْكَمَـا ذَا قِلَّـةٍ إِنَّ البَلَاغَـةَ فِي القَلِيـلِ تَكُـونُ[1]

وأيضا قول محمد بن عبد الله بن نجي البغدادي:

فَلَا تُبْدِ قَوْلاً مِنْ لِـسَانِكَ لَمْ يَـرُضْ مَوَاقِعَهُ مِنْ قَبْـلِ ذَلِـكَ التَّفَكُّـرُ[2]

5. التروي قبل الكلام:

قُلْ كَلَامْ الخِيرْ، وَالاَّ سْكُتْ خِيرْ[3].

هذا المثل يدعو الإنسان إلى أن يتروى ويفكر قبل أن يشفه بأي كلام؛ فإن كـان الكلام من فضة ــ كما يقال ــ فالسكوت من ذهب[4].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه[5].

قال الإمام النووي ــ رحمه الله ــ : « وهذا الحديث صريح في أنه ينبغـي أن لا يتكلم إلاّ إذا كان الكلام خيرا، وهو الذي ظهرت مصلحته؛ ومـتى شُـكّ في ظهـور المصلحة فلا يتكلّم[6]».

وقد علّق على ذلك العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ بقوله : «اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلاّ كلاما ظهرت فيه المـصلحة الدينية أو الدنيوية ... فإذا استوى الأمران؛ أن يسكت أو يتكلم، فالسلامة أفضل، يعني لا يتكلم إذا كان يشك هل في كلامه خيرا أو لا، فالأفضل ألاّ يتكلم، لأن الـسلامة لا

---

1 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 149.

2 ــ المرجع نفسه، ص 149.

3 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 121.

4 ــ المصدر نفسه، ص 121.

5 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1519، ص 371.

6 ــ المصدر نفسه، ص 371.

يعد لها شيء، والساكت سالم إلاّ إذا اقتضت الحال أن يتكلم؛ فليتكلم: مثلا لو رأى منكرا فهنا لا يسكت، يجب أن يتكلم وينصح وينهي عن هذا المنكر، وأمّا إذا لم تقتضي المصلحة أن يتكلم فلا يتكلم لأن ذلك أسلم له»[1].

ومنه ينبغي أن يسائل الإنسان نفسه قبل أن يحدث غيره: هل هناك ما يستدعي الكلام؟ فإن وجد داعيا إليه تكلم؛ وإلاّ فالصمت أولى به؛ وإعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الأجر. وقد قيل : صمت تسلم به؛ خير من نطق تندم عليه[2].

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط ــ وهم أهل الصراط المستقيم ــ كفّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة فضلا عن أنه تضره في آخرته[3]».

يقول العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ : « والخير قد يكون خيرا لذاته وقد يكون خيرا لغيره، فمن الخير لذاته: أن يتكلم الإنسان بالقرآن؛ بالذكر؛ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وما أشبه ذلك . وأمّا الخير بغيره: بأن يتكلم الإنسان بما ليس في ذاته أجر؛ لكنه يريد أن يبسط إخوانه ويزيل عنهم الوحشة ويؤلف قلوبهم[4]».

قال أبو العتاهية:

رَحِمَ اللهُ امْرَءً أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ إِذْ قَالَ خَيْرًا أَوْ صَمَتْ[5]

وله أيضا:

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا مَنْ قَالَ بِالخَيْرِ غَنِمْ[6]

---

1 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 593 وما بعدها.

2 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 50.

3 ــ الإمام ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 167 وما بعدها.

4 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 796.

5 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 56.

6 ــ المصدر نفسه، ص 349.

6. حكمة الصمت:

الصَّمْتْ حَكْمَة تُخْرَجْ مَنُّه الحَكَايَمْ، لُو مَا تْصَمْصِيمْ وَلْدْ الحَجْلَة مَا يجِي الحَنَشْ الهَايَمْ[1].

فالصمت حكمة تخرج منه الحكم؛ فلو لا قطقطة فرخ الحجل لما سطا عليه الحنش[2]. وقريبا من هذا السياق يقول الشيخ عبد الرحمن المجدوب:

الصَّمْتْ حَكْمَة ... وَمَنُّه تَتْفَرَّقْ الحَكَايَمْ

لُو مَا نْطَقْ وَلْدْ الإِيمَامَة ... مَا يْجِيهْ وْلِيدْ الحَنَشْ هَايَمْ[3]

وعن الصمت يتمثل الإنجليز بقولهم: الصمت يورث الحكمة؛ والكلام يورث الندامة[4]. والمثل اليوناني يقول: رُبَّ سَاكِتٍ يُعَدُّ حَكِيمًا؛ وَرُبَّ مُتَكَلِّمٍ يُكْرَهُ لِطُولِ حَدِيثِهِ[5].

والمثل الفصيح يقول: الصمت حكم وقليل فاعله[6]. قال الشيخ أبو هلال ــ رحمه الله ــ : « الحكم والحكمة سواء... وجعل الصمت حكمة؛ لأنه يمنع صاحبه من التورط في الإثم والعَنَت وغيره؛ وأصل الحكم المنع، وأحكمت الرّجل: مَنَعْتُه[7]».

وقد قيل في المثل العربي: قد أفلح الساكت الصموت[8]. والمثل الحبشي يقول: الصمت سور محيط بالحكمة[9]. وقد قالوا: في الصمت سبعة آلاف خير؛ وقد اجتمع ذلك في سبع كلمات في كلّ منها ألف: فالصمت عبادة من غير عناء وتعب؛ وزينة من غير حلي؛ وهيبة من غير سلطان؛ وحصن من غير حائط؛ والاستغناء عن الاعتذار لأحد؛

---

1 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 117.

2 ــ المصدر نفسه، ص 117.

3 ــ الشيخ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور، ص 7.

4 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 135.

5 ــ المرجع نفسه، ص 221.

6 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 569.

7 ــ المصدر نفسه، ج1، ص 569.

8 ــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الثاني، ص 100.

9 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج2، ص 413.

مع الراحة وستر العيوب[1].

فلزوم الصمت سلامة من الشر؛ ومنجاة من الهلكة، يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

إِلْزَمِ الصَّمْتَ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حُكْمًا وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ[2]

قال وهب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء؛ تسعة منها في الصمت؛ والعاشر في عزلة الناس[3]. وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه؛ فقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر! والإنسان لو حفظ لسانه ما هلك[4].

وذاك معنى المثل الشعبي الجزائري القائل: لُو كَانْ مَا لْسَانِي؛ مَا يِجِي الحَنْشْ لَمْكَانِي[5].

قال أبو العتاهية:

إِنْ كَانَ يُعْجِبُكَ السُّكُوتُ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يُعْجِبُ قَبْلَكَ الأَخْيَارَا
وَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الكَلَامِ مِرَارَا
إِنَّ السُّكُوتَ سَلَامَةٌ وَلَرُبَّمَا زَرَعَ الكَلَامُ عَدَاوَةً وَضِرَارَا[6]

وعن فضل الصمت قال كونفوشيوس: الصمت صديق لا يخون أبدا[7]. ويقول توماس كارلايل مقدّسا الصمت: ينبغي إقامة نصب للصمت[8]. وقالت العلماء: إلزم

1 ــ المرجع السابق، ج 2، ص 413.

2 ــ الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص 278

3 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 149.

4 ــ المرجع نفسه؛ ج1 ص 149.

5 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 163.

6 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 542.

7 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج2، ص 411.

8 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 411.

السكوت؛ فإن فيه سلامة[1].

والإمام الشافعي يقول:

وَجَدْتُ سُكُوتِي مَتْجَرًا فَلَزِمْتُهُ إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحًا فَلَسْتُ بِخَاسِرِ

وَمَا الصَّمْتُ إِلاَّ فِي الرِّجَالِ مَتَاجِرُ وَتَاجِرُهُ يَعْلُو عَلَى كُلِّ تَاجِرِ[2]

وقال أعرابي: الصمت أجلب للمودة؛ وأعمل في المهابة؛ وأزيد في الصيانة؛ وأبقى للجسد[3].

7. الحث على الصمت وتجنب الثرثرة:

إِذَا كَانْ الكَلاَمْ مْنَ الْفَضَّة؛ الصَّمْتْ مْنَ الذَّهَبْ[4].

يقال في الحث على الصمت وتجنب الثرثرة؛ وهو مثل شائع في كل الجهات واللغات[5]، فالذهب والفضة؛ وإن تساويا في الجنس؛ إلاّ أنهما متفاضلان في القيمة. فتجد الناس يقدمون الذهب على الفضة؛ ويتباهون في ذلك؛ فكل ما كان من ذهب عظم شأنه وغلا ثمنه وزادت قيمته، فكذلك الصمت والكلام؛ إذ أن الصمت مقدم على الكلام من حيث السلامة وأمن الزلل وجلب المهابة وستر العيوب وغيرها من الفضائل التي أوجبت إلحاقه بالذهب من حيث القيمة والبهاء والنفاسة؛ في حين ألحق الكلام بالفضة.

فكل عاقل عرض له من الذهب والفضة؛ فلا بد من اختياره الذهب وتقديمه على الفضة؛ فكذلك حاله إذا عرض له الصمت والكلام.

يقول الشيخ عبد الرحمن المجذوب:

الصَّمْتْ الذَّهَبْ المَسَجَّرْ وَالْكَلاَمْ يْفَسَّدْ المَسَالَة

إِذَا شُفْتْ لاَ تْخَبَّرْ وإِذَا سَالُوكْ قُلْ لَا لَا[6]

---

1 ــ المرجع السابق، ج2، ص 415.

2 ــ الإمام الشافعي، ديوانه، ص 73.

3 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الثاني، ج4، ص 199.

4 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 31.

5 ــ المرجع نفسه، ص 31.

6 ــ الشيخ عبد الرحمن المجذوب، القول المأثور، ص 7.

وقال الإمام علي رضي الله عنه:

إِنْ كَانَ مِنْ فِضَّةٍ كَلَامُكِ يَا نَفْـــــ ... سُ فَإِنَّ الـسُّكُوتَ مِـنْ ذَهَـبِ[1]

وله أيضا:

إِنَّ القَلِيـلَ مِـنَ الكَـلَامِ بِأَهْلِـهِ ... حَـسَنٌ وَإِنَّ كَـثِيرَهُ مَمْقُـوتُ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَـا مِـنْ مُكْثِـرٍ ... إِلاَّ يَـزِلُّ وَمَـا يُعَـابُ صَـمُوتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِـقُ نَـاطِقٌ مِـنْ فِـضَّةٍ ... فَالـصَّمْتُ دُرٌّ زَانَـهُ يَـاقُوتُ[2]

وقد أنشد أحدهم:

وَلَـوْ يَكُـونُ القَـوْلُ فِي القِيَـاسِ ... مِـنْ فِـضَّةٍ بَيْـضَاءَ عِنْـدَ النَّـاسِ
إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ خَـيْرِ الـذَّهَبِ ... فَاسْمَعْ هَدَاكَ اللهُ تَلْخِـيصَ الأَدَبِ[3]

وقال آخر:

لَوْ كَانَ بَعْـضُ الكَـلَامِ مِـنْ وَرِقٍ ... لَكَانَ جُلُّ السُّكُوتِ مِـنْ ذَهَـبِ[4]

قال عبد المالك الشريشي:

إِذَا مَـا اضْـطَرَرْتَ إِلَى كَلِمَـةٍ ... فَدَعْهَا وَبَـابَ الـسُّكُوتِ أَقْـصِدِ
فَلَـوْ كَـانَ نُطْقُـكَ مِـنْ فِـضَّةٍ ... لَكَانَ سُـكُوتُكَ مِـنْ عَـسْجَدِ[5]

---

1 ــ الإمام علي، ديوانه، ص 38.

2 ــ المصدر نفسه، ص 54.

3 ــ الثعالبي، اللطائف والظرائف، ص 107.

4 ــ المصدر نفسه، ص 107.

5 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 164.

وقال آخر:

الصَّمْتَ فَالْزَمْ وَلَا تَنْطِقْ بِـلَا سَـبَبِ إِنَّ الْمُعَلِّـلَ بِالإِكْثَـارِ فِي تَعَـبِ
وَإِنْ ظَنَنْـتَ أَنَّ القَـوْلَ مِـنْ وَرِقٍ فَاسْتَيْقِنْ بِأَنَّ الصَّمْتَ مِنْ ذَهَـبِ[1]

ولّما كان الصمت من الذهب مدحه المادحون، وتغنّوا به في أشعارهم؛ ومن ذلك قول أحدهم:

سَأَلْزَمُ الصَّمْتَ مَا دَامَ الزَّمَـانُ كَـذَا وَأَمْنَعُ الدَّهْرَ مِنْ نُطْقِ اللِّـسَانِ فَمِـي
إِنْ لَامَنِي لَائِمٌ فِي الصَّمْتِ قُلْتُ لَـهُ: حَبْسُ الفَتَى نُطْقَهُ حِرْزٌ مِنَ النَّـدَمِ[2]

8. الصامت من الرجال والثرثار:

اعْقُبْ عَلَى وَادْ هَدَّارْ؛ ومَا تَعْقُبْشْ عْلَى وَادْ سَاكَتْ[3].

وبرواية أخرى: اعْقُبْ عْلَى وَادْ يْجَرْجَرْ، وَمَا تَعْقُبْشْ عْلَى وَادْ سَاكَتْ[4]، وبلفظ آخر: جُوزْ عْلَى الوَادْ الْهَرْهَارْ؛ لَا تْجُوزْ عْلَى الْوَادْ الصَّامَتْ[5].

يقال هذا في الحذر من الرّجل الساكت الذي لا يباهي ولا يفـاخر ولا يتظـاهر بقوة، بخلاف الثرثار فلا خشية منه، مثله مثل الوادي الشديد الهدير لا يخشى لاشـتماله على أحجار ومسالك يمكن سلوكها؛ إذ هديره آت من كونه يشتمل على تجويفـات... بخلاف الوادي الصامت فهو عميق متساوي القاع والمجرى؛ قلّما ينجو من خطره عـابر؛ فاحتمال الغرق فيه وارد[6]. والقصد من هذا كله أن الحذر مطلوب مع الإنسان الصامت وهو أمر ضروري؛ لأنه يمكن أن يثور ثورة لا تتوقع منه؛ أمّا الشخص الثرثار فلا خشية

---

1 ــ المرجع السابق، ص 164.

2 ــ المرجع نفسه، ص 169.

3 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 132.

4 ــ رابح خدروسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 39.

5 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 32.

6 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 132 وما بعدها.

منه؛ وعن هذا يتمثل الإنجليز بقولهم: احترس من الكلب الساكت والماء الراكد[1]؛ وكذا قولهم: الكلاب النابحة قليلا ما تعض[2]؛ أما الرومان فيتمثلون بقولهم: السواقي الأشد هدوءا هي السواقي الأكثر عمقا[3]؛ وإنما شبه الإنسان الساكت بالواد العميق لأنه لا يمكن لأحد معرفة ما ينطويان عليه؛ والمثل اليوغسلافي يقول: نستطيع غور كل شيء ما عدا صمت الإنسان[4]. والمصريون يتمثلون بقولهم: الكَلْبْ إِلِّي يَنْبَحْ... مَا يْعَضْشْ[5].

9. المرأة والكلام:

مْشَاتْ لَلْحَمَّامْ جَابَتْ اخْبَارْ عَامْ[6].

أي أن المرأة إذا ذهبت إلى الحمام؛ أتت محمّلة بأخبار الغير؛ يقال هذا للتنديد باشتغال النساء بالقيل والقال؛ والكلام في الناس، ومعروف عنهنّ اجتماعهن في الحمام ليتكلمن في أعراض النّاس بالغيبة والنّميمة[7]. فالمرأة معروفة بحدّة لسانها؛ كما ورد في المثل السويدي: سيف المرأة في فمها[8]. والمثل الروسي يقول: لسان المرأة مكنسة الشيطان[9]. ولّما كان لسان المرأة أكثر أعضائها حيوية؛ تمثله الروسيون بقولهم: لسان المرأة آخر عضو يموت فيها[10]. وقد عرفت النساء بحبهن الشديد للقيل والقال؛ وذلك ما نلمسه في المثل الإسباني القائل: ينسى الحسون التغريد ولا تنس المرأة الكلام[11].

فلا شيء أخطر على أحد من لسانه كالمرأة التي تتكلم بلا حساب؛ ولا تسكت عن ذكر جاراتها وما فعلن؛ وكيف كان الاجتماع يوم أمس واليوم في بيت فلانة وما

---

1 ــ رابح خدروسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 60.

2 ــ المرجع نفسه، ص 71.

3 ــ المرجع نفسه، ص 78 .

4 ــ المرجع نفسه، ص 220.

5 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 261.

6 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية، ص 146.

7 ــ المصدر نفسه، ص 146.

8 ــ رابح خدروسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 236.

9 ــ المرجع نفسه، ص 237.

10 ــ المرجع نفسه، ص 237.

11 ــ المرجع نفسه، ص 239.

يقول النساء هناك وما يفعلن؛ وهكذا مجالس النساء جلّها إن لم أقل كلّها؛ والسبب في ذلك عدم الوعي وقلة المعرفة وضعف الإيمان؛ وإنطماس البصيرة والركون إلى الدنيا.

10. تجاهل كلام السفهاء:

اللّي فَاتْ عْلَى كَلْمَة فَاتْ عْلَى رُوحْ[1].

معناه: بسبب كلمة يمكن ارتكاب جريمة؛ والأحسن تجاهلها. ويضرب في العفو عند المقدرة؛ وعدم الإكتراث للأقاويل[2]. وذلك معنى المثل المصري: إذَا عَوَى عَلِيكِ الْكَلْبْ...إِدِّيلُه ضَهْرَكْ[3]. فمن تجاهل كلام السفهاء زاد من غيظهم؛ وسَلِمَ من سفاهتهم؛ وذاك معنى المثل السوري: إِذَا بِدَّكْ تِهَرِّيهْ أُسْكُتْ وِخَلِّيهْ[4].

فمن واجه نقدا آثما مرّا؛ أو تحطيما مدروسا مقصودا؛ أو إهانة متعمدة؛ فعليه بالصمود لكلام السفهاء ونقدهم وتشويههم وتحقيرهم، فالإصغاء لكلامهم تحقيق لأمانيهم في تكدير صفوة الحياة؛ ألا فالإعراض عنهم واجب؛ يقول الدكتور عائض القرني في كتابه (لا تحزن): «...ألا فأعرض عنهم ولا تك في ضيق ممّا يمكرون؛ إنّ نقدهم السخيف ترجمة محترمة لك، وبقدر وزنك يكون النقد الآثم المفتعل، إنك لن تستطيع أن تعتقل ألسنتهم؛ لكنك تستطيع أن تدفن نقدهم وتجنّيهم بتجافيك لهم؛ وإهمالك لشأنهم، واطّراحك لأقوالهم ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[5]؛ بل تستطيع أن تصبّ في أفواههم الخردل بزيادة فضائلك؛ وتربية محاسنك؛ وتقويم اعوجاجك»[6]. ويقول في موضع آخر: «لا تحزن من لوم اللاّئمين وعذل العذّال؛ ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾[7]؛ ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[8]؛ ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 76.

2 ــ المصدر نفسه، ص 76.

3 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 271.

4 ــ سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، ص 278.

5 ــ سورة آل عمران، الآية:119.

6 ــ الدكتور عائض القرني، لا تحزن، مكتبة العبيكان، الرياض ــ السعودية، الطبعة الأولى لجمهورية مصر العربية، سنة 1423هـ ــ 2003م، ص 40.

7 ــ سورة آل عمران، الآية:111.

8 ــ سورة النحل، الآية:127.

بِاللهِ وَكِيلاً﴾[1]....

لَا يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرْ

...لا تحزن من نقد أهل الباطل والحسّاد؛ فإنك مأجور ــ من نقدهم وحسدهم ــ على صبرك؛ ثم إنّ نقدهم يساوي قيمتك؛ ثم إنّ الناس لا ترفس كلبا ميتا؛ والتافهين لا حسّاد لهم...»[2]. وفي موضع آخر يقول: « إنّك لن تستطيع أن تعتقل ألسنة البشر عن فري عرضك؛ ولكنك تستطيع أن تفعل الخير؛ وتجتنب كلامهم ونقدهم؛ قال حاتم:

وَكَلِمَةٌ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ سَمِعْتُ فَقُلْتُ مُرِّي فَانْفُذِيني

وَعَابُوهَا عَلَيَّ وَلَمْ تَعِبْنِي وَلَمْ يَنْدَ لَهَا أَبَدًا جَبِيني

وقال آخر:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى السَّفِيهِ فَيَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّةَ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي

وقال ثالث:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

...ومن الفوائد والتجارب: لا ترد على كلمة جارحة فيك؛ أو مقولة؛ أو قصيدة؛ فإن الاحتمال دفن المعايب؛ والحلم عزّ؛ والصمت يقهر الأعداء؛ والعفو مثوبة وشرف»[3].

فكلمات السخفاء والحقراء؛ لا يمكن أن يتلفت لها مسلم ولا أن يولي لها بالا؛ بل عليه أن يتجاهلها؛ فالخير كل الخير في الإعراض عنها؛ وما قد ينجرّ بسببها دافع لأن نتغاضاها؛ وكأننا لم نسمعها، يقول قاسم أمين: رب كلمة يتجرعها حليم مخافة ما هو

1 ــ سورة: الأحزاب، الآية: 48.

2 ــ الدكتور عائض القرني، لا تحزن، ص. ص 118 . 120.

3 ــ المرجع نفسه، ص 122 وما بعدها.

شَرٌّ مِنْهَا[1].

والعرب يتمثّلون بقولهم: سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهًا[2]. قيل: المثل للحسن بن علي رضي الله عنهما؛ قاله لعمرو بن الزبير، وكان عمرو بن الزبير ذاهبا بنفسه؛ شامخا بأنفه؛ فكان إذا شتمه إنسان أعرض عنه إعراض من لا يعبأ بالشّتم، فشتم عمرو يوما الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال: « سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهًا» وسكت، فقال عمرو: لِمَ سَكَتَّ؟ قال: لما تسكت له، يريد أن المتناهي في الشرف ليس له من يُسَابُّهُ؛ وإنّما يتسابّ النّظراء، ومنه قول الشاعر:

لاَ تَسُبَّنِّي فَلَسْتَ بِسِبِّي إِنَّ سِبِّي مِنَ الرِّجَالِ الكَرِيمُ[3]

قال رجل لرجل وسبّه فلم يلفت إليه: إيّاك أعني، فقال له الرّجل: وعنك أعرض[4].

والمثل العربي يقول: لَبِسْتُ عَلَيْهِ أُذْنِي[5]، معناه: سكتّ عليه كالغافل عنه؛ محتملا للأذيّة فيه؛ وهو على حسب قولهم: أغضيت عليه؛ وغمّضت عنه، وفي معناه قول بشار:

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءِ

وهو من قول الأول:

وَكَلاَمُ سَيِّءٍ قَدْ وَقَرْتُ أُذْنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمِ[6]

1 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج1، ص 542.

2 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 511.

3 ــ المصدر نفسه، ج1، ص 511.

4 ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص 71 وما بعدها.

5 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 183.

6 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 183.

ومثل عربي آخر يقول: تلبس أذنيك على مضاض. المضاض والمضاضة: ألم وحرقة يجدها الرّجل في جوفه من غيظ يتجرّعه. يضرب للرّجل الحليم يسكت عن الجاهل؛ ويحتمل أذاه[1]. وقديما قال العرب: كن حالما بجاهل ناطق[2]. وقولهم: ما يداوي الأحمق بمثل الإعراض عنه[3].

ويقول بعض الشعراء:

سَكَتُّ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي ... عَيِيتُ، وَمَا عَيِيتُ عَنِ الجَوَابِ
مُتَارَكَةُ السَّفِيهِ بِلَا جَوَابٍ ... أَشَدُّ عَلَى السَّفِيهِ مِنَ العَذَابِ[4]

ولله درّ الإمام الشافعي إذ يقول:

إِذَا سَبَّنِي نَذْلٌ تَزَايَدْتُ رِفْعَةً ... وَمَا العَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِبَهُ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً ... لَمَكَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُحَارِبَهُ[5]

وهو القائل:

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ ... فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا ... كَعُودٍ زَادَهُ الإِحْرَاقُ طِيبَا[6]

وله أيضا:

قُلْ بِمَا شِئْتَ فِي مَسَبَّةِ عِرْضِي ... فَسُكُوتِي عَنِ اللَّئِيمِ جَوَابُ
مَا أَنَا عَادِمُ الجَوَابِ وَلَكِنْ ... مَا ضَرَّ الأُسْدَ أَنْ تُجِيبَ الكِلَابُ[7]

1 ــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الأول، ص 378.
2 ــ المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص 93.
3 ــ المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص 422.
4 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج1، ص 462.
5 ــ الإمام الشافعي، ديوانه، ص 19.
6 ــ المصدر نفسه، ص 20.
7 ــ المصدر نفسه، ص 31.

وقد أنشد قائلا:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَّجْتَ عَنْهُ وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ[1]

وقال أيضا:

قَالُوا سَكَتَّ وَقَدْ خُوصِمْتَ؟ قُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ
وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفُ وَفِيهِ أَيْضًا لِصَوْنِ العِرْضِ إِصْلَاحُ
أَمَا تَرَى الأُسْدَ تُخْشَى وَهْيَ صَامِتَةٌ؟! وَالكَلْبُ يُخْسَى - لَعَمْرِي- وَهْوَ نَبَّاحُ[2]

وفي هذا المعنى يقول الإمام علي رضي الله عنه:

إِذَا مَا اجْتَرَرْتُ سِفَاهَ السَّفِيهِ عَلَيَّ فَإِنِّي أَنَا الأَسْفَهُ
وَلَرُبَّمَا اخْتَزَنَ الكَرِيمُ لِسَانَهُ حَذَرَ الجَوَابِ وَإِنَّهُ لَمُفَوَّهُ
وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الوَقُورُ مِنَ الأَذَى وَفُؤَادُهُ مِنْ حَرِّهِ يَتَأَوَّهُ[3]

وأبو العتاهية يقول:

وَكِلِ السَّفِيهَ إِلَى السَّفَاهَةِ وَانْتَصِفْ بِالحِلْمِ أَوْ بِالصَّمْتِ مِمَّنْ يَسْفَهُ[4]

ويقول صلاح الدين الصفدي:

وَإِنْ بُلِيتَ بِشَخْصٍ لَا خَلَاقَ لَهُ فَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلِ[5]

---

1 ــ المصدر السابق، ص 38.

2 ــ المصدر نفسه، ص 43 .

3 ــ الإمام علي، ديوانه، ص 149.

4 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 409.

5 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، ص 113.

عن عبد الله بن بكر المزني قال: جاء رجل فشتم الأحنف بن قيس، فسكت عنه، فأعاد عليه وألحّ والأحنف ساكت، فقال: والهفاه، ما يمنعه عن جوابي إلا هواني عليه[1].

وقد قال الشاعر:

إِنِّي لَأُعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا ... حَتَّى يَظُنَّ رِجَالٌ إِنَّ بِي حَمَقَا

أَخْشَى جَوَابَ سَفِيهٍ لاَ حَيَاءَ لَهُ ... فَسِلٌ يَظُنُّ أُنَاسٌ إِنَّهُ صَدَقَا[2]

قال أحمد بن داود: نبأ الرياشي قال: أنبأ الأصمعي قال: كان الأحنف بن قيس يقول: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، وربّ غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه[3].

وقال ابن المقفع لابنه: يا بني، الصبر على كلمة تسمعها خير من ألف تطلب التخلص منها، فأكرم نفسك عمّا الخير في غيره[4].

ومن أزاهر الحكم: من غاظك بقبيح الشتم منه؛ فغظه بحسن الحلم عنه[5].

قيل: من سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت؛ وإلاّ سمع أكثر منها[6]. وما أحسن قول الشاعر:

وَتَقْلَقُ نَفْسُ المَرْءِ مِنْ أَجْلِ شَتْمَةٍ ... فَيُشْتَمُ أَلْفَا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ[7]

وشتم رجل آخر فلم يردّ عليه؛ فقيل له في ذلك فقال: أرأيت لو نبحك كلب أتنبحه؛ أو رمحك حمار أكنت ترمحه؟[8].

وقال آخر:

---

1 ــ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 251.

2 ــ المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص 252.

3 ــ المرجع نفسه، المرجع الثاني، ص 252.

4 ــ الوشاء، كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق د. يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1411 هـ ــ 1991م، ج2، ص 154 وما بعدها.

5 ــ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 448.

6 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج2، ص 393.

7 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج2، ص 393.

8 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج2، ص 393.

وَمَا كُـلُّ كَلْـبٍ نَـابِحٍ يَـسْتَفِزُّنِي وَلَا كُلَّمَـا طَـنَّ الـذُّبَابُ أُرَاعُ[1]

وقال شاعر:

شَـاتَمَنِي عَبْـدُ بَـنِي مِـسْمَعٍ فَـصُنْتُ مِنْـهُ الـنَّفْسَ وَالعِرْضَـا
وَلَمْ أُجِبْـهُ لِاحْتِقَـارِي لَـهُ مَنْ ذَا يَعُـضُّ الكَلْـبَ إِنْ عَـضَّا[2]

وفي هذا المعنى يقول المثل الشعبي الجزائري: الْكَلْبْ إِذَا نْبَحْ مَا عَضّْ مَا جْرَحْ[3]. فيجب على كل عاقل أن يصون نفسه عن كل جاهل؛ فلا يولي لـه بـالا ولا يلفـت لتفاهته؛ فإنما هي نتاج جهله وعنوان لؤمه؛ فيكون كما قال المثـل الـشعبي: ضَـارَبْ النَّحْ[4]. أي متجاهلا تجاهل الجاهلين؛ ومترفعا عن سفاهتهم وأباطيلهم.

11. الغيبة وهتك الأعراض:

كِالْمَنْشَارْ طَالَعْ يَاكُلْ هَابَطْ يَاكُلْ[5].

المثل في مصر بلفظ: زَيِّ المِنْشَارْ طَالِعْ وَاكِلْ نَازِلْ وَاكِلْ[6]. يضرب لمن يغتـاب الآخرين في كل آن[7]. وإنما شبه المغتاب بالمنشار؛ لأنه لا يأتي على شـيء إلا وقطعـه، وتلك حال من يثير العداوة والبغضاء بين الناس فيقطع حبال المودة والـصحبة والمحبـة؛ فالغيبة من أكثر الذنوب انتشارا بين العامة والخاصة؛ وبين الرجال والنساء؛ بل أصبحت عادة ذميمة؛ وعمل لئيم؛ وجريمة أخلاقية منكرة؛ لا يلجأ إليها إلاّ الضعفاء والجبناء، ولا يستطيعها إلاّ الأراذل والتافهون، ولا ينتشر هذا العمل إلا حين يغيب الإيمـان، وهـي اعتداء صارخ على الأعراض؛ وظلم فادح، وإيذاء ترفضه العقول؛ وتمجه الطباع؛ وتأباه

1 ــ المرجع السابق، المجلد الأول، ج2، ص 393 .

2 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج2، ص 393.

3 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 130.

4 ــ المرجع نفسه، ص 91.

5 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 126.

6 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 205.

7 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 126.

النفوس الكريمة؛ وهي كبيرة من كبائر الذنوب التي جاء وصفها في كتاب الله بأبشع الصفات وأشنعها؛ قال تعالى﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ووصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم: « أَتَدْرُونَ مَا الغَيْبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[2].

ولعظم أمر الغيبة فقد جاء الوعيد الشديد في حق مرتكبها؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ؛ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» رواه أبو داود[3].

قال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس. وقد قيل: الغيبة بيان خبث البشرية[4]. ومما أورده الميداني عن الغيبة قولهم: إيّاك وغيبة الجاهلية؛ فإن الله أبغضها وأبغض أهلها[5]. وقولهم عن المغتاب: يأكل خبزه بلحوم الناس[6]. وقد قيل: من اغتاب خرق؛ ومن استغفر رقع[7]. أي من اغتاب خرق ستر الله؛ فإذا استغفر رقع ما خرق.

قال الإمام علي رضي الله عنه:

---

1 ــ سورة الحجرات، الآية: 12.

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1531، ص 373.

3 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1534، ص 374.

4 ــ زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 48.

5 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 549.

6 ــ المصدر نفسه، ج3، ص 632.

7 ــ المصدر نفسه، ج3، ص 359.

وَغَيْبَـــةُ النَّـــاسِ إِنَّ غَيْبَتَـــهُمْ حَرَّمَهَـــا ذُو الجَـــلَالِ فِي الكُتُـــبِ[1]

فالغيبة سمة اللئام؛ ووقيعة ينبذها الكرام، فها هو قتيبة بن مسلم يقول لرجل اغتاب رجلا آخر عنده: أمسك عليك أيها الرجل؛ فوالله لقد تلمظت بمـــضغة طالمـــا رفـــضها الكرام[2].

وقد قيل : إذا رأيت من يغتاب الناس فأجهد جهدك ألاّ يعرفك؛ فأشقى الناس به معارفه[3].

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: من اغتاب المسلمين؛ وأكل لحومهم بغير حـــق وسعى بهم إلى السلطان جيء به يوم القيامة؛ مزرقة عيناه؛ ينادي بالويل والثبور، يعـــرف أهله ولا يعرفونه[4]. وقال الأحنف: في خصلتان؛ لا أغتاب جليسي إذا غاب عـــني؛ ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلونني فيه[5]. وعن ابن المبارك -رحمه الله تعالى- قال: لو كنت مغتابا أحدا؛ لاغتبت والدي؛ لأنهما أحق بحسناتي[6].

وكما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة؛ كذلك يحرم على السامع استماعها؛ فيجب على من يستمع إنسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه إن لم يخف ضررا؛ فإن خافه وجـــب عليـــه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته... ومما أنشد في هذا المعنى:

وَسَمْعَكَ صُنْ عَـــنْ سَمَـــاعِ القَبِـــيحِ كَصَوْنِ اللِّـــسَانِ عَـــنِ النُّطْـــقِ بِـــهِ
فَإِنَّـــكَ عِنْـــدَ سَمَـــاعِ القَبِـــيحِ شَـــرِيكٌ لِقَائِلِـــهِ فَانْتَبِـــهِ[7]

فليعلم كل من عوّد لسانه هتك أعراض الآخرين وتتبع عوراتهم وأكل لحـــومهم؛

---

1 ــ الإمام علي، ديوانه، ص 38.

2 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 335.

3 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج2، ص 399 .

4 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 150.

5 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 150.

6 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 150 وما بعدها.

7 ــ المرجع نفسه، ج1 ص 151.

أنّ ذلك دليل على خبث نفسه؛ وكثرة عيوبه، فليتّق كلّ مغتاب ربّه وليقلع عن هذا الفعل الدنيء والطبع المنكر الذي يقود صاحبه إلى النيران وغضب الله وسخطه؛ والأجدر بالمرء أن يتبصر بعيوبه فينشغل بها عن عيوب غيره.

وكفى حسرة بالمغتاب يوم يؤخذ من حسناته فتعطى لمن اغتاب؛ حتى إذا نفذت طرحت عليه من سيئات خصمه؛ فيحبط عمله ويساق إلى جهنم مدحورا ولبئس القرار.

12. النميمة والسعاية بين الناس:

اللّي مَا يَقْدَرْشْ عْلِيهْ الشّيطَانْ فِي عَامْ يْدِيرُهْ الْقَرّاضْ فِي سَاعَة[1].

فالنميمة توجب الإفساد والتحريش بين المؤمنين، يقول الذّهبي: « صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ"، فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "شِرَارُكُمْ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَءَاءِ الْعَنَتَ". والعَنَتُ الْمَشَقَّةُ.»[2] يأتي هذا تأكيد على ما تسببه النميمة من مضرة عظيمة، والقراض هو النمام الذي ينقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد، قال تعالى﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[3]. وقد عرّفها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه: « أَلَا أُنْبِئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ؛ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رواه مسلم[4].

وقد جاء الوعيد لمن يمشي بين الناس بالنميمة في قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» متفق عليه[5].

ولّما كان النمام يهتك كل شيء مثل له العرب بالصبح الذي يبدي كل شيء،

---

1 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 54.

2 ــ الذهبي، شرح الكبائر، ص 357 وما بعدها.

3 ــ سورة القلم، الآية: 11.

4 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1546، ص 378.

5 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1544، ص 377.

وبالتراب الذي يبقى عليه الأثر؛ فقالوا: أنمّ من الصبح[1]، وأنمّ من التّراب[2].

والنميمة تضرم بها نار العداوة فتحترق بها القلوب؛ وفي المثل العربي: النميمة أرثة العداوة[3]. والأرثة اسم لما تؤرث به النار، أي النميمة وقود نار العداوة[4]، بل هي ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب.

والقَتّاتُ بمعنى النَّمّامُ؛ وقد قيل: النمّام: الذي يكون مع جماعة يتحدّثون فينقل عنهم. والقتّات الذي يستمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينم[5]. وعنه تمثلت العرب بقولها : ديكُهُ يَلْقَطُ الحَبَّ؛ ويروى: يَلْتَقِطُ الحَصَا[6]. وقد ورد عن العرب في أمثالهم: رَكُوضٌ فِي كُلِّ عَرُوضٍ[7]. فالنمام يستقصي الأخبار من هنا وهناك؛ لينشر الفساد والشقاق بين الناس؛ فيثير الخلافات بينهم. وذاك معنى المثل الشعبي الجزائري: يْقَرَّضْ بِينْ الحْمَارْ وْعَلْفَهْ[8].

قالت أعرابية توصي ابنا لها أراد سفرا: يا بني... إياك والنمائم؛ فإنها تورث الضغائن؛ وتفرق بين المحبين[9]. وقال أعرابي: دع النّمائم، فإن أولها سمائم، وآخرها مآثم[10].

قال العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ عن النميمة أو العضه: «العَضْهُ؛ من القطع والتمزيق ومنه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[11]. يعني قطعا وأجزاء يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، فما هي الأداة المفرقة

---

1 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 315.

2 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 315.

3 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 398.

4 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 398.

5 ــ محمد الغزالي، خلق المسلم، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 91.

6 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 645.

7 ــ عبد القادر صالح، الأمثال العربية، ص 172.

8 ــ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 203.

9 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 439.

10 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الثالث، ج5، ص 19.

11 ــ سورة الحجر، الآية: 91.

للأمة الممزقة لهم؛ قال هي النميمة أن ينقل الإنسان كلام الناس بعضهم في بعض من أجل الإفساد بينهم، وهي من كبائر الذنوب... يأتي لفلان ويقول فلان قال فيك كذا وكذا؛ قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا، حتى إن كان صادقا فإنه حرام؛ ومن كبائر الذنوب، وقد نهى الله تعالى أن يطاع مثل هذا الرجل، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[1]. وقال بعض أهل العلم: من نـــمّ إليك الحديث نمه منك، يعـــني من نقل كلام الناس إليك فإنه ينقل كلامك أنت؛ فاحذره ولا تطعه ولا تلتفت إليه[2].»

وحدّ النميمة كما أوردها أبي حامد الغزالي: « اسم يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه؛ كما تقول فلان كان يتكلم فيك كذا وكذا؛ وليست النميمـــة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه... بل حقيقة النميمة إفشاء السر؛ وهتك السر عمّا يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس ممّا يكره؛ فينبغي أن يسكت عنه؛ إلا ما في حكايته فائدة مسلم؛ أو دفع لمعصية.» [3]. ومما يجب في ردها ممن حملـــت إليه ستة أمور أوردها أبي حامد الغزالي على النحو الآتي:

الأول: أن لا يصدقه لأن التمام فاسق؛ وهو مردود الشهادة، قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾[4].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك؛ وينصح له؛ ويقبح عليه فعله؛ قال الله تعـــالى﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[5].

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بغيض عند الله تعالى؛ ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِـــنَ

---

1 ــ سورة القلم، الآيتان: 10، 11.

2 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 610.

3 ــ الإمام أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 306 وما بعدها .

4 ــ سورة الحجرات، الآية: 6.

5 ــ سورة لقمان، الآية: 17.

الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث للتحقق اتباعا لقوله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[2].

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه؛ ولا تحكي نميمة[3].

ذكر السعاة عند المأمون؛ فقال رجل ممن حضر: لو لم يكن من عيبهم إلاّ أنهم أصدق ما يكونون أبغض إلى الله تعالى، لكفاهم[4].

وقال آخر:

لَا تَقْبَلَنَّ نَمِيمَةً بُلِّغْتَهَا ... وَتَحَفَّظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا

إِنَّ الَّذِي أَنْبَاكَ عَنْهُ نَمِيمَةً ... سَيَدُبُّ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا[5]

قيل: من سعى بالنميمة حذره القريب؛ ومقته الغريب[6].

قال أبو موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ لا ينم عن الناس إلا ولد بغي... فكم دم أراقه سعي ساع، وكم حريم استبيح بنميمة نمام، وكم من صفيين تباعدا، وكم من متواصلين تقاطعا، وكم من محبين افترقا، وكم من إلفين تهاجرا، وكم من زوجين تطالقا[7]... وقال بعض الحكماء: احذروا أعداء العقول؛ ولصوص المودات؛ وهم السعاة والنمامون[8]. وفي المثل السائر: من أطاع الواشي ضيّع الصديق[9]. وقال المأمون: النميمة لا تقرب مودة إلاّ أفسدتها؛ ولا عداوة إلاّ جدّدتها؛ ولا جماعة إلا بدّدتها، ثم لابد لمن

---

1 ــ سورة الحجرات، الآية: 12.

2 ــ سورة الحجرات، الآية: 12.

3 ــ الإمام أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 307.

4 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2،ص 333.

5 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 333 .

6 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 51.

7 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 152.

8 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 152.

9 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 152.

عرف بها ونسب إليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه[1]. وأنشد بعضهم:

مَنْ نَـمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِبُـهُ ... عَلَى الـصَّدِيقِ وَلَمْ تُـؤْمَنْ أَفَاعِيـهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِـهِ أَحَـدٌ ... مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِـنْ أَيْـنَ يَأْتِيـهِ؟!
الوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْـهُ كَيْـفَ يُنْقِـضُهُ ... وَالوَيْلُ لِلْوُدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ؟![2]

وجماع الأمر في هذا المعنى ما قاله يحي بن أكثم ـــ رضي الله عنه ـــ: النَّمَّامُ أَشَرُّ من الساحر؛ فإنه يعمل في يوم ما لا يعمل الساحر في شهر[3]. وقد قيل: النّمّام من بـني آدم مذموم عند الله سبحانه وتعالى وعند عباده[4]. ويصدق ذلك المثل الشعبي الجزائري: الذَّمَّامْ وَالنَّمَّامْ مَا عَنْدْهُمْ مْقَامْ[5].

يقول الشيخ عبد الرحمن المجدوب:

مَهْبُـولْ مَـنْ يَحْـرَثْ القُـولْ ... فِي شَـطْ مَـالَحْ يْلُوحُـه
مَهْبُـولْ مَـنْ يَاخُـذْ القُـولْ ... فِي صَـاحَبْ عَـوْضْ رُوحُـه[6]

وقال صالح بن جناح:

إِذَا الوَاشِي لَـدَيْكَ بَغَـى صَـدِيقَا ... فَلَا تَـدَعِ الـصَّدِيقَ بِقَـوْلِ وَاشِ[7]

13. اللسان البذيء:

لْسَانْ الْعِيبْ مَا يْدِيرْ حْبِيبْ[8].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَـيْءٍ

---

1 ـــ المرجع السابق، ج1، ص 153.

2 ـــ المرجع نفسه، ج1، ص 154.

3 ـــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 52.

4 ـــ المرجع نفسه، ص 52.

5 ـــ رابح الخدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 63 .

6 ـــ الشيخ عبد الرحمن المجذوب، القول المأثور، ص 25.

7 ـــ الزوزني، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، ص 137.

8 ـــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 143.

أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ؛ وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَـذِيَّ» رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيِّ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[2].

قال العلامة ابن عثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ : « وهذا يدل على أن هذه الأمور نقص في الإيمان؛ وأنها تسلب عن المؤمن حقيقة الإيمان وكمال الإيمان؛ فلا يكون طعانا يطعن الناس بأنسابهم أو بأعراضهم أو بشكلهم وهيئاتهم أو بآمالهم، ولا باللعان الذي ليس له هم إلاّ اللعنة... فالمؤمن ليس باللعان ولا بالفاحش الذي يفحش في كلامه بصراخ أو نحو ذلك، ولا بالبذي الذي يعتدي على غيره؛ فالمؤمن مؤمن مسالم، ليس عنده فحش في قوله ولا في فعله ولا غير ذلك لأنه مؤمن[3].»

ومنه تحريم سب المسلم بغير حق؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» متفق عليه[4].

قال العلامة ابن العثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ : « ... فعلى هذا إذا سبّ المسلم أخاه صار هذا الساب فاسقا لا تقبل شهادته؛ ولا يجعل له ولاية ولا على بنته؛ لا يزوج ولا ابنته؛ لأنه صار فاسقا؛ ولا يصح أن يكون إماما للمسلمين؛ ولا يصح أن يكون مؤذنا؛ هكذا قال كثير من العلماء رحمهم الله وفي بعض المسائل هذه خلاف، لكن المهم أنّ من سبّ أخاه فإنه يفسق»[5].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ» رواه الترمذي وقال:

---

1 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام المرسلين، الحديث رقم 631، ص 196.

2 ـــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1563، ص 384.

3 ـــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 640 .

4 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1567، ص 386.

5 ـــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 651.

حديث حسن[1].

قال أبو العباس: قال الأحنف بن قيس: ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة؛ الخلق السجيح والكف عن القبيح، ألا أخبركم بأدوإ الداء؛ الخلق الدنيء واللسان البذيء[2].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وبالعوراء لا تنطق ولكن بما يرضي الإله من الكلام[3]

14. شنائة تتبع عورات الآخرين:

الشَبْكَة تْعَايَرْ الغُرْبَالْ وَتْقُولُه عَيْنِيكْ كْبَارْ(4).

يقال فيمن تتبع عورات الآخرين وعيوبهم وتناسى عيوبه التي لا تعد ولا تحصى؛ بل هي أشنع من عيوب غيره[5]، وفي هذا المعنى يقال: الجْمَلْ يْشُوفْ حْدَبَّةْ خُوهْ[6]؛ أي أن الجمل ينظر سنام غيره متناسيا أن له ما لأخيه. وهذا مما يضرب في باب سخرية المرء من عيوب الآخرين ونسيان عيوبه. والمثل الفصيح يقول: كيف تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في عينك؟يعني تعييرك غيرك داء هو جزء من جملة ما فيك من الأدواء؛ يعني العيوب[7]. قال بعض الشعراء:

إِذَا أَنْتَ عِبْتَ النَّاسَ عَابُوا وَأَكْثَرُوا عَلَيْكَ وَأَبْدَوْا مِنْكَ مَا كَانَ يُسْتَرُ

إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ فَلاَ عَيْبٌ إِلاَّ دُونَ مَا مِنْكَ يُذْكَرُ

فَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي لَيْسَ فِيهِمُ فَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ أَكْبَرُ

وَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ فَكَيْفَ يَعِيبُ العِوَرَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ

وَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسَ مَنْ عَيْبُ نَفْسِهِ أَشَدُّ إِذَا عَدَّ العُيُوبَ وَأَنْكَرُ

1 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1744، ص 422.

2 ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص 75.

3 ــ الإمام علي، ديوانه، ص 136.

4 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 82.

5 ــ رابح خدروسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 48.

6 ــ المرجع نفسه، ص 48.

7 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج3، ص 54.

مَتَى تَلْتَمِسْ لِلنَّاسِ عَيْبًا تَجِدْ لَهُمْ عُيُوبًا، وَلَكِنَّ الَّذِي فِيكَ أَكْثَرُ
فَسَالِمْهُمْ بِالكَفِّ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ بِعَيْبِكَ مِنْ عَيْنَيْكَ أَهْدَى وَأَبْصَرُ[1]

والمثل الهندي يقول: تقول المصفاة للإبرة؛ إن فيك ثقبا[2]. وقد قال أحدهم:

قَبِيحٌ مِنَ الإِنْسَانِ يَنْسَى عُيُوبَهُ وَيَذْكُرُ عَيْباً فِي أَخِيهِ قَدِ اخْتَفَى
فَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَمَا عَابَ غَيْرَهُ وَفِيهِ عُيُوبًا لَوْ رَآهَا بِهَا اكْتَفَى[3]

وعاب رجل رجلا عند بعض الأشراف؛ فقال له: قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأن طالب العيوب إنّما يطلبها بقدر ما فيه منها؛ أما سمعت قول الشاعر:

لَا تَهْتِكَنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكُ اللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَا
وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا[4]

ومنه قولهم: عيّر بُجَيْرٌ بُجَرَهُ؛ نَسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَهُ[5]. فبُجَيْر وبُجَر كانا أخوين في الدّهر القديم؛ وكان بُجَيْر عيّر بُجَر بعيب كان فيه[6].

وقيل: من وجدتموه عيّابا، وجدتموه معيبا؛ لأنه يعيب الناس بفضل عيبه[7]؛ وقيل: بحثك عن عيوب الناس يدعو إلى بحثهم عن عيوبك[8].

فأفضل الناس من كان بعيبه بصيرا؛ وعن عيب غيره ضريرا[9].

وقد قال الشاعر:

---

1 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من خلال الحكم والأمثال، ج2، ص 422.

2 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 426.

3 ــ مجيد طراد، الحكمة: القول المأثور عبر العصور، ص 113.

4 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 335 .

5 ــ المصدر نفسه، ج3، ص 87 وما بعدها. وقد أورد المثل أبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال، ج2، ص 38.

6 ــ المصدر نفسه، ج3، هامش ص 88.

7 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج2، ص 398.

8 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج2، ص 399.

9 ــ ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 435.

فَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّـذِي فِيـكَ مِثْلُـهُ فَكَيْفَ يَعِيبُ الصُّلْعَ مَنْ هُـوَ أَصْـلَعُ

وأخبرنا أبو أحمد؛ عن ابن دريد؛ عن أبي حاتم؛ عن أبي عبيدة قال: كـان عمـر يقول: كفى بك عيبا أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك؛ أو تؤذي جليسا بما فيك مثله[1].

فبعض الناس مع الأسف الشديد لا تراه إلا منتقدا؛ فينسى صـفات الآخـرين الحسنة، ويركز على أخطائهم وعيوبهم فقط؛ فهو في ذلك مثل الذباب الذي يقع علـى الجرح والأذى ويترك موضع البرء والسلامة؛ وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج، وقد عاب رجل أعرابيا، فقال الأعرابي: ذاك والله الزَّلِقُ عن المجد رِجْلاً، والمطليّ باللؤم وجها، القصير عن الخير يدا[2]. وهذا حال كل من عاب غيره وطلب سقطاتهم فأفشاها؛ وتعامى عن حسانتهم فأخفاها.

15. السخرية والإستهزاء:

لَا تَضْحَكْ عْلَى اللّي رَبِّي بْلاَهْ؛ يَعْفُ عَنُّهْ وَيَبْلِيكْ[3].

يضرب لمن يسخر من عيره ويستهزئ بهم، وقد تناسى أنه من سخر مـن غـيره سيأتي دوره؛ فالإبتلاء على كل إنسان؛ والأيام دول يوم لك ويوم عليـك[4]؛ وهـذا مصداق قولهم: اللّي ضْحَكْ يَلْحَقْ[5].

والمثل المصري يقول : مَنْ عَايَر ابْتُلِيَ... وَلَوْ بَعْدَ حِينْ[6]. والعرب تتمثل بقولها: لَا تَسْخَرْ مِنْ شَيْءٍ فَيَحُورَبِكَ؛ وقولهم أيضا: لَا تَسْخَرْ فَتُبْتَلَى[7].

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَـوْمٍ عَـسَى أَنْ

---

1 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 38.

2 ــ الوشاء، كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل، ج2، ص 186.

3 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 140.

4 ــ المرجع نفسه، ص 152.

5 ــ المرجع نفسه، ص 152.

6 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 214.

7 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 400.

يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[1].

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: « ومعنى السخرية؛ الاستهانة والتحقير؛ والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه[2].»

يقول الله تعالى﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

فالسخرية والاستهزاء بخلق الله أمر يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم؛ فالمستهزئ إنما يستهزئ بالخالق خاصة إن كان يسخر من ذوي العاهات والنقائص في الخلقة؛ وذاك معنى المثل الشعبي الجزائري: تَضْحَكْ عْلَى الْمَخْلُوقْ وَالاَّ تَضْحَكْ عْلَى الْخَالَقْ؟[4].

16. المضايقات على سبيل المزاح:

تَقْلَابْ الحْجَارْ يْجِيبْ الْعَارْ[5].

المقصود من هذا أن المضايقات على سبيل المزاح يخرج منها أصحابها دائما إلى الشتم، يقال لمن أسرف في المزاح[6]؛ وهذا مصداق قولهم: أَصْلْ الْعْدَاوَة الْمْزَاحْ[7]. خاصة إذا كان على وجه السخرية: والمثل الإنجليزي يقول: السخرية المرّة ليست مزاحا[8].

والعرب تتمثل بقولها: المزاح لقاح الضغائن، ويقولون: ربّما مازحت الرجل فأحقدته؛ والضغينة: العداوة ويقال: مزاح ومزاحه، ويقولون: المزاحة تذهب المهابة، وقيل: سمي المزاح مزاحا؛ لأنه أزيح عن وجهة الصواب[9].

---

1 ــ سورة الحجرات، الآية: 11.

2 ــ الإمام أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 277.

3 ــ سورة التوبة، الآية: 79.

4 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 114.

5 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 134.

6 ــ المصدر نفسه، ص 134.

7 ــ المصدر نفسه، ص 64.

8 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 12.

9 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 231.

وهذا ابن السعادات الشجري يحذر من المبالغة في المزاح؛ ويقول:

وقد قيل : لو كان المزاح فحلا لم ينتج إلا شرا[1]. وقيل أيضا: إياك أن تمازح لبيبا أو سفيها؛ فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يتجرأ عليك، ولأن المزاح يخرق الهيبة، ويذهب بماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان والود؛ ويشين فقه الفقيه؛ ويجرئ السفيه، ويميت القلب، ويباعد عن الرب تعالى، ويكسب الغفلة والذلة؛ ومن بلي في مجلس بمزح أو لغط فليذكر الله عند قيامه[2].

قال بعض الحكماء: تجنب سوء المزاح؛ وتكد الهزل؛ فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلاّ بعد غمّ[3]. وقال آخر: لكل شيء بذر؛ وبذر العداوة المزاح[4].

ويقول الشيخ عبد الرحمن المجدوب:

الصَّاحَبْ لَا تْلَاعْبُه وَالنَّاعَرْ لَا تْفُتْ عْلِيهْ
أَلّي حَبَّكْ حُبُّه اكْثَرْ وَالّي بَاعَكْ لَا تَشْرِيهْ[5]

17. أثر الكلمة وتأثيرها في النفوس:

كُلْ شِي يَيْرَا يَا هَبْرَة، وْكْلَامْ الْعَارْ مَا يَيْرَا[6].

قصة المثل أسطورية تقول أن هبرة اسم امرأة قالت كلاما قبيحا وهي تحدث رفيقتها عن الأسد، وكان الأسد يسمع: فاقترب من الثانية وقال لها: شُجّي رأسي بحجر؛ ففعلت؛ وبعد مدة إلتقى بهما وقد شفي الجرح؛ بينما الكلام القبيح الذي قالته المرأة بقي حيا في ذاكرته؛ فهجم على قائلته وأكلها وهو يردد هذا المثل[7].

والمثل السوري يقول: الضرب ما هو ضرب العصا؛ الضرب هو ضرب

---

1 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 54

2 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 212.

3 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 392.

4 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 392.

5 ــ الشيخ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور، ص 56.

6 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 130.

7 ــ المرجع نفسه، ص 130 وما بعدها.

الكلام[1]. والأثيوبيون يتمثلون بقولهم: ما يسحقه الفم، ألف جرّاح لا يرممه[2]، أما إيران فيتداول عندهم: يخرج السهم من الجرح، لكن لدغة اللسان تبقى في القلب[3].

وعند الصينيين: نشفى من ضربه السيف؛ ولا نشفى من ضربة اللسان[4]. والمصريون يتمثلون بقولهم: ضَرْبْ اللِّسَانْ أَشَدّ مِنْ طَعْنِ السِّنَانْ[5]. والمثل الفصيح يقول: رُبَّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ[6]، والصَّوْلُ: الحملة والوثب عند الخصومة والحرب؛ قال بعض حكماء الهند: قلما يمتنع القلب من القول إذا تردّد عليه؛ فإن الماء ألين من القول؛ والحجر أصلب من القلب؛ وإذا انحدر عليه أثر فيه؛ وقد يُقْطَعُ الشجر بالفؤوس فينبت؛ ويُقْطَعُ اللحم بالسيوف فيندمل، واللسان لا يندمل جرحه؛ والنصول تغيب في الجوف فتترع؛ والقول إذا وصل إلى القلب لا يترع؛ ولكل حريق مطفئ؛ للنار الماء؛ وللسم الدواء؛ وللحزن الصبر؛ وللعشق الفرقة؛ ونار الحقد لا تخبو أبدا[7]. قال أكثم بن صيفي: كَلْمُ اللِّسَانِ أَنْكَأُ مِنْ كَلْمِ الحُسَامِ[8]. وقد قال كليلة: قد تصل النصال إلى الجوف فتستخرج وتندمل جراحها؛ والقول إذا وصل إلى القلب لم يستخرج[9].

ولبعضهم في المعنى:

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَأْسُوهُ فَيَبْرَا ... وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا الْتِئَامُ ... وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ[10]

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة العالم في الأمثال والحكم، ص 212.

2 ــ المرجع نفسه، ص 214.

3 ــ المرجع نفسه، ص 218.

4 ــ المرجع نفسه، ص 219.

5 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 98.

6 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 476 .

7 ــ المصدر نفسه، ج1، ص 476 وما بعدها.

8 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 257.

9 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الثاني، ج4، ص 192.

10 ــ ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 308.

18. خلود الكلام الجارح في الذاكرة:

تَمْشِي سْنِينْ السُّوءْ وْتَبْقَى المْعَايْرَة[1].

أي تذهب أيام العسر ويبقى الكلام الجارح في الذاكرة[2]. وفي رواية أخرى: رَاحُو سْنِينْ السُّوءْ وَبْقَاوْ مْعَايَرْ السُّوءْ[3]. يضرب للتذكير بأن كلام السوء يرسخ في الذاكرة[4]. والمثل الإنجليزي يقول: الكلمات تطير؛ والجراح تبقى[5]. ويتمثل الأفارقة بقولهم: علامات السوط تزول؛ وآثار الشتائم لا تزول[6].

يقول الشيخ عبد الرحمن المجدوب:

يَـــا قَايَـــلْ الْعَـــارْ كِيفَـــاهْ يْحَلَّـــى كْلاَمَـــكْ
تَمْـــرَضْ وِلاَ عُـــدْتْ تُـــزَارْ وْتْتْفَكَّـــرْ النَّـــاسْ عَـــارَكْ[7]

ويحاكي ذلك المثل الشعبي الجزائري القائل: الحَصِيدَة وَلاَّتْ غْبَارْ؛ وِيحَكْ يَا رَبَّاحْ الْعَارْ[8]. يعني كل شيء يفنى ولا يدوم ولا يبقى إلاّ كلام السوء[9].

فالحذر كل الحذر من إطلاق العنان للسان فإنه ليث عقور لا يؤمن شره؛ خاصة ما يصدر عنه من كلام جارح لا يمكن للغير تناسيه ولو مرّ عليه من الدّهر ما مرّ؛ لأنه يرسخ في الذاكرة ويتغلغل في أعماق النفوس، فتمضي السنين ويبقى ذلك الكلام حيا في الضمائر.

فكل كلام تأذي منه سامعه؛ فهو من جملة الكلام الجارح الذي يبقى خالدا في الذاكرة؛ ومتغلغلا في النفس، وكل ذلك يؤدي إلى البغضاء والعداوة، وذاك ما يصبو إليه

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 42.

2 ــ المرجع نفسه، ص 42.

3 ــ المرجع نفسه، ص 82.

4 ــ المرجع نفسه، ص 42 .

5 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 212.

6 ــ المرجع نفسه، ص 218.

7 ــ الشيخ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور، ص 48.

8 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 52.

9 ــ المرجع نفسه، ص 52.

الشيطان من التفرقة بين الأحبة والترغ بينهم؛ فتثار نيران الحقد والتدابر؛ قال تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[1]. فالواجب أن الإنسان يكون أخا لأخيه؛ يسدي إليه المحبة والألفة، ولا يتعرض له بما يجرح مشاعره من قول أو فعل. وكل هذا من مقتضيات الأخوة.

19. جرح اللسان:

اللِّي جْرَحْ الْقَلْبْ وَادْمَاهْ وَاشْ مَنْ عَيْنْ تَلْقَاهْ[2].

معناه: بأية نظرة تلاقي الذي طعن القلب بأفعاله وأقواله، فجرح اللسان كجرح اليد[3]. بل الجرح ما جرح اللسان؛ وفي هذا المعنى يقول المثل الشعبي الجزائري: اَبْحِيبْ وَحْشْ بَسْنَانَهْ يْمَزَّقْنِي؛ وَلاَّ إِنْسَانْ بَلْسَانَهْ يْجَرَحْنِي[4]. ومنه فجرح اللسان لا يندمل.

فعلى كل من آمن بالله وباليوم الآخر أن تكون علاقاته مع الآخرين قائمة على الحب المشترك، والود النابع من صفاء القلوب، والتعاون المتبادل، والمجاملة الرقيقة، والمعاملة الطيبة. وبذلك يحيا الجميع ناصعي النفوس؛ مستريحي السرائر أتقياء أنقياء؛ لا إثم ولا بغي ولا غل ولا حسد.

لكن إذا تمت الخصومة؛ وغارت جذورها، وتفرعت أشواكها؛ واستفحلت في النفوس؛ وتملكت القلوب؛ حينها تضرم نيران العداوة فتحرق زهرات الإخاء وأواصل المحبة والترابط؛ فإذا تمكنت من الأفئدة تنافرت وتدابرت وتباغضت؛ فيرسب الغلّ في الأعماق وكأنه بركان خامد ينتظر الثوران.

وللكلمة الجارحة حظّ أوفر ممّا تقدّم؛ قال أبو عبد الله بن الحجاج:

وَمَا النَّارُ إِلاَّ نَشْأَةٌ مِنْ شَرَارَةٍ ... وَرُبَّ كَلاَمٍ تُسْتَثَارُ بِهِ حَرْبُ[5]

---

1 ــ سورة الإسراء، الآية: 53

2 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 66.

3 ــ الخوارزمي، الأمثال، ص 255.

4 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 13.

5 ــ الزوزني، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، ص 173.

فليعلم كل امرئ أن عثرة القدم بالرغم من شدة آلامها وكثرة أوجاعها؛ إلاّ أنهـا أهون بكثير من عثرة اللسان؛ فعثرة الرّجل لا تتعدى حدود الشخص نفسه؛ عكس عثرة اللسان التي تطول الآخرين وتجرح مشاعرهم وكرامتـهم؛ لتكـون سـببا في تـصدع الجماعات وزرع الشحناء والبغضاء بأوساطهم؛ فينبت الفراق والتجافي؛ وذلك مما يعسر صفاء القلوب ولو بعد الصلح؛ ويجعل الرضى متعذرا.

20. نذالة الكذب:

الكْذَبْ مَا يْزِيدْ فِي الرَّجْلَه[1].

الرَّجْلَة: الرُّجُولَة، أو شخصية الإنسان، فالكذب دليل على النذالة والسفه؛ فقـد قيل: الحَقّ حَقّ والْكْذَبْ إلاّ تَسْفِيهْ[2].

فالكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها؛ وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة؛ أو طبيعة قاهرة[3].

والمثل الشعبي الجزائري يقول: الكْذَبْ مَا يَبْنِي الخْيَامْ؛ وِإذَا بْنَـاهُمْ يَتْهَـدّمُوا[4]. وهذا تنديد بالكذاب؛كتب أعرابي لابنه وسمعه يكذب: يا بني؛ عجبت من الكذب المشيد بكذبه؛ وإنما يدل على عيبه؛ ويتعرض للعقاب من ربه؛ الآثام له عادة؛ والأخبـار عنـه متضادة؛ إن قال حقا لم يصدق؛ وإن أراد خيرا لم يوفق؛ فهو الجاني على نفسه بفعالـه؛ والدالّ على فضيحته بمقاله، فما صحّ من صدقه نسب إلى غيره؛ وما صحّ من كذب غيره نسب إليه؛ فهو كما قال الشاعر:

حَسْبُ الكَـذُوبِ مِـنَ المَهَـانَـةِ بَعْـضُ مَـا يُحْكَـى عَلَيْـهِ

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 130.

2 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 49.

3 ــ محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 37.

4 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 76.

فَـــإِذَا سَمِـــعْتَ بِكِذْبَـــــةٍ مِـــنْ غَـــيْرِهِ نَـــسَبْتَ إِلَـــيْهِ[1]

وقال الشاعر:

إِذَا عُرِفَ الإِنْسَانُ بِالكَذِبِ لَمْ يَـزَلْ لَدَى الإِنْسَانِ كَذَّاباً وَإِنْ كَانَ صَـادِقَا
فَإِنْ قَـالَ لَمْ تُـصْغِ لَـهُ جُلَـسَاؤُهُ وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ وَلَوْ كَـانَ نَاطِقَـا[2]

وقال غيره:

وَمَـا شَـيْءٌ إِذَا فَكَّـرْتَ فِيـهِ بِأَذْهَـبَ لِلْمُـرُوءَةِ وَالجَمَـالِ
مِنَ الكَـذِبِ الَّـذِي لَا خَـيْرَ فِيـهِ وَأَبْعَـدَ بِالبَـهَاءِ مِـنَ الرِّجَـالِ[3]

وفي القول المأثور: لا رأي لكذوب؛ ولا مروءة لكذاب[4]. ومنـه قـولهم: رأس الذنوب الكذب[5]. ولله درّ من قال:

الكَذِبُ عَارٌ وَخَيْرُ القَـوْلِ أَصْـدَقُهُ وَالحَقُّ مَا مَسَّهُ مِـنْ بَاطِـلٍ زَهِقَـا
إِذَا عُرِفَ الكَذَّابُ بِالكَذِبِ لَمْ يَـزَلْ لَدَى النَّاسِ كَذَّاباً وَإِنْ كَانَ صَادِقَا[6].

وأنشد بعض الشعراء:

وَكُنْ صَادِقَاً فِي كُـلِّ شَـيْءٍ تَقُولُـهُ وَلَا تَكُ كَـذَّاباً فَتُـدْعَى مُنَافِقَـا[7]

وقال آخر:

الصِّدْقُ مَنْجَـاةٌ لِمَـنْ هُـوَ صَـادِقٌ وَتَرَى الكَذُوبَ بِمَا يَقُـولُ يُـوَبَّخُ[8]

---

1 ــ زامل صالح الزّامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 18.

2 ــ المرجع نفسه، ص 366.

3 ــ المرجع نفسه، ص 366.

4 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج2، ص 59.

5 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 60.

6 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 61 .

7 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 61.

8 ــ المرجع نفسه، ج2، ص 61.

وقال أفلاطون: كفاك موبخا على الكذب علمك بأنك كاذب؛ وكفاك ناهيا عنه خوفك إذا كذبت[1].

وقيل: الكذب جماع النفاق[2]. وقيل : الكذب عار لازم وذل دائم[3].

قال الشاعر:

لَا يَكْـذِبُ الْمَـرْءُ إِلاَّ مِـنْ مَهَانَتِـهِ أَوْ عَادَةِ السُّوءِ ، أَوْ قِلَّـةِ الـوَرَعِ[4]

21. افتضاح الكذاب:

خُذْ الْكَذَّابْ بَالنَّسْيَانْ[5].

أي تقام الحجة على الكاذب أثناء نسيان حديثه عند تكراره[6]. ومنه قولهم: حْدِيثَكْ لاَ تَنْسَاهْ[7]. ومن أمثال العرب في ذلك قولهم: إِذَا كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذَكُورًا[8].

قال الشاعر:

تَكْـذِبُ الكِذْبَـةَ جَهْـلاَ ثُمَّ تَنْـسَاهَا قَرِيبَـا

كُـنْ ذَكُـورًا لِلَّـذِي تَحْكِـي إِذَا كُنْـتَ كَـذُوبَا[9]

فمن نسب إليه النسيان رمي بالكذب، والعرب تتمثّل بقولها: هُوَ يَنْسَى مَا يَقُولُ. قال ثعلب: إنما تقول هذا إذا أردت أن تنسب أخاك إلى الكذب[10]. فمن نسي قوله وحكى

---

1 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الثاني، ج4، ص 95.

2 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 122.

3 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج1، ص 122.

4 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج1، ص 122.

5 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 63.

6 ــ المرجع نفسه، ص 63.

7 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 43.

8 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 396 .

9 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 396.

10 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 465.

غيره فقد أصاب شعبة من الكذب، وذلك قول العرب: بذات فمه يفتضح الكذوب[1].

22. التشدق والتكلف والتقعر.

ازْرَعْهْ يَنْبَتْ[2].

يضرب في التشدق وتكلف السجع والفصاحة؛ والتقعر.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ؛ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ؛ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا. وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ؛ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال « المُتَكَبِّرُونَ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[3].

يقول العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ: « وأبعد الناس منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، الثرثارون: الذين يكثرون الكلام ويأخذون المجالس عن الناس؛ فإذا جلس في المجلس أخذ الكلام عن غيره؛ وصار كأن لم يكن في المجلس إلاّ هو، ولا يدع غيره يتكلم وهذا لا شك أنه نوع من الكبرياء؛ لكن لو فرضنا أن أهل المجلس فَوَّضُوهُ وقالوا: أعطنا نصيحة؛ أعطنا موعظة؛ فَتَكَلَّمَ فلا حرج؛ إنما في الكلام العادي لا يصح أن تملك المجلس ولا تدع أحدا يتكلم؛ حتى أن بعض الناس يحب أن يتكلم لكن لا يستطيع أن يتكلم؛ يخشى من مقاطعة هذا الرجل الذي ملك المجلس بكلامه؛ كذلك أيضا المتشدّقون؛ والمُتَشَدِّقُ: هو الذي يتكلّم بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ؛ نجده يتكلم وكأنه أفصح العرب تكبرا وتبخترا... [4].»

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثا. رواه مسلم[5]. (المُتَنَطِّعُونَ): المُبَالِغُونَ فِي الأُمُورِ[6].

---

1 ــ المصدر السابق، ج1، ص 323.

2 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 11.

3 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 636، ص 197.

4 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج1، ص 904.

5 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1745، ص 422.

6 ــ المصدر نفسه، ص 422

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن[1].

يقول العلامة ابن عثيمين – رحمة الله تعالى عليه –: «من آفات اللسان التَّقَعُّرُ في الكلام والتَّشَدُّقُ حتى يتكلم الإنسان بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ؛ وحتى يتكلم عند العامة في غرائب اللغة العربية؛ إمّا رياء ليقول الناس: ما أعلمه باللغة العربية أو لغير ذلك... والمُتَنَطِّعُ هو المُتَقَعِّرُ في الكلام الذي يتنطّع بكلامه أو بقوله أو بفعله أو برأيه أو بغير ذلك مما يَعُدُّهُ الناس خروجا عن المألوف[2].»

والمثل الفصيح يقول: أَفْرَطَ فَأَسْقَطَ[3]... ومن أمثالهم في النهي عن مفارقة التوسط في القول قولهم: أسوأ القول الإفراط[4].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[5].

قال علي بن أبي طالب رحمه الله: أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره؛ ومعناه في ظاهر لفظه[6].

قال الشاعر:

يُقَعِّرُ القَوْلَ لِكَيْمَا تَحْسِبَهْ ... مِنَ الرِّجَالِ الفُصَحَاءِ المُعْرِبَهْ

وَهُوَ إِذَا نَسَبْتَهُ مِنْ كَرِبَهْ ... مِنْ نَخْلَةٍ نَاتِنَةٍ فِي خَرِبَهْ[7]

---

1 ــ المصدر السابق، الحديث رقم 1746، ص 422.

2 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 796.

3 ــ الشيخ أبي هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 19.

4 ــ المصدر نفسه، ج1، ص 20.

5 ــ سورة الأنعام، الآية: 152.

6 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 83.

7 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 294 وما بعدها.

ولبعضهم:

خَيْرُ الكَلاَمِ قَلِيلُ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلُ
وَالعَيُّ مَعْنَىً قَصِيرٌ يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلُ[1]

وقد قيل: خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره[2].

وقال البحتري: خير الكلام ما قَلَّ وجَلَّ ودَلَّ ولم يُمَلّ[3].

ويقول أوهنري: الحكيم من يتحفك بمعان كثيرة في ألفاظ قليلة؛ والثرثار من يضجرك بمعان قليلة في ألفاظ كثيرة[4].

23. ذو الوجهين:

كِذَنَّابَةْ الْفَرُّوجْ الرِّيحْ اللِّي جَا يَدِّيهَا[5].

يقال فيمن لا كلمة له ولا مبدأ، وفي ذي الوجهين؛ فهو يتقلب كما يتقلب ذنب الديك تدفعه الريح[6]؛ ويوافقه في المعنى المثل الشعبي الجزائري: فْلاَنْ كِكُعَالَةْ السَّلُوقِي[7]. والمثل الفصيح يقول: هو إمعة؛ وكذلك إمرة؛ وهما الرجل الضعيف الرأي الذي يقول لكل: أنا معك[8]. وقولهم: مثل ابنة الجبل؛ مهما يقل تقل[9]. يضرب لذي اللسانين الذي لا خير في مصاحبته؛ يقول الإمام علي رضي الله عنه:

وَلاَ خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ[10]

---

1 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 263.

2 ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص 20.

3 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 77.

4 ــ د. روحي البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، ص 527.

5 ــ عبد الحميد بن هلوقة، أمثال جزائرية، ص 164.

6 ــ المرجع نفسه، ص 164.

7 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 114.

8 ــ الميداني، مجمع الأمثال، ج3، ص 561.

9 ــ المصدر نفسه، ج3، ص 365.

10 ــ الإمام علي، ديوانه ص 118.

وقال أبو العتاهية:

وَإِذَا الفَتَى لَزِمَ التَّلَوُّنَ لَمْ تَجِدْ أَبَدًا لَهُ فِي الوَصْلِ طَعْمَ وِصَالِ[1]

فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ» متفق عليه[2].

قال العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ : « ذو الوجهين هو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، كما يفعل المنافقون ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[3]. وهذا يوجد في كثير من الناس والعياذ بالله وهو شعبة من النفاق»[4].

يقول حياز البلدي:

وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى كُلِّ مَنْ لَهُ لِسَانٌ وَوَجْهَانِ[5]

24. مخالفة اللسان لما يضمره القلب:

اللِّسَانْ لَحْلَاحْ وَالْقَلْبْ ذَبَّاحْ[6].

ويوافقه المثل الشعبي الجزائري القائل: الْفُمْ قَاصَدْ وَالْقَلْبْ فَاسَدْ[7]؛ أي الفم حديثه من عسل لكن القلب يكنّ عكس ما أبداه اللسان، يضرب في المنافق الذي يظهر عكس ما يضمر.

عن محمد بن زيد أن ناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل

---

1 ــ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص 288.

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1548، ص 378.

3 ــ سورة البقرة، الآية: 14.

4 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 613.

5 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الأول، ج2، ص 53.

6 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، 155.

7 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 198.

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية مكتبة

على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: كنّا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري[1].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبد الرحمان المجدوب:

مَنْ يَامْنَكْ يَاكْحَلْ الرَّاسْ مَا شِينَكْ بَطْبِيعَه

السَّنْ يَضْحَكْ لَلسَّنْ وَالْقَلْبْ فِيهْ الْخَدِيعَه[2]

كْحَلْ الرَّاسْ: هو الإنسان؛ ففي هذا القول إشارة إلى من يظهر بلسانه حلو الكلام وعذبه؛ ويبطن الغدر والخديعة وفي هذا قال أحدهم:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ[3]

وسمع الأحنف رجلا يطري يزيد عند معاوية؛ فلما خرج من عنده اسْخَنْفَرَ (أي مضى ولم يَتَلَبَّثْ) في ذَمِّهِمَا، فقال له الأحنف : مَهْ؛ فإنّ ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها[4].

وقال سعيد بن أبي العروبة: لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان؛ على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر، أحب إليّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين[5].

وقال شبيب بن شيبة لفتى من دوس: لا تنازع من فوقك؛ ولا تقل إلاّ بعلم؛ ولا تتعاط ما لم تَبْلُ؛ ولا يخالف لسانك ما في قلبك؛ ولا قولك فعلك؛ ولا تدع الأمر إذا أقبل؛ ولا تطلبه إذا أدبر[6].

والأمثال الشعبية الجزائرية في هذا المعنى كثيرة نذكر منها: أَمْلَسْ فِي وَجْهَكْ؛

---

1 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1549، ص 378.

2 ــ الشيخ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور، ص10.

3 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، ص 117.

4 ــ الجاحظ، البيان والتبين، ج2، ص 149.

5 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 149.

6 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 219.

أحْرَشْ في قْفَاكْ[1]. ومنها:في الوَجْهْ مْرَايَا وْفِي الظْهَرْ مْقَصّ[2]. وأيضا : فِي الْوَجْهْ مَرْحْبَا وْفِي الْقْفَا مَنْدْبَة[3].

وقد قال المثقب العيدي في المعنى المتقدم:

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمْ[4]

قال العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ عن المنافق الذي يبدي عكس ما يضمر: « تجده يأتي إليك يتملق ويثني عليك وربما يغلو في ذلك الثناء، ولكنه إذا كان من ورائك عقرك وذمك وشتمك وذكر فيك ما ليس فيك؛ فهذا والعياد بالله ــ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ــ : «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ» وهذا من كبائر الذنوب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وصف فاعله بأنه شر الناس؛ والواجب على الإنسان أن يكون صريحا؛ لا يقول إلاّ ما في قلبه؛ فإن كان خيرا حمد عليه؛ وإن كان سوى ذلك وجه إلى الخير»[5].

وفي هذا المعنى يقول نقولا فياض:

وَمَنْ يَقُلْ غَيْرَ مَا تَطْوِي ضَمَائِرُهُ فَذَاكَ غُرٌّ تَخَطَّى الجَهْلَ وَالحَمَقَا[6]

25. التدخل فيما لا يعنيه:

الهَدْرَة بِينْ اثْنِينْ والثَّالَثْ مَا عَنْدَهْ وَذْنِينْ[7].

أي إذا كان الكلام بين اثنين فإن الثالث عليه عدم الإصغاء فضلا عن عدم التدخل بكلام قد يسبب له الإهانة؛ ويقال هذا للفضولي الذي يريد أن يعرف ما يدور بين

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 21.

2 ــ المرجع نفسه، ص 116.

3 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الجزائرية، ص 111.

4 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج2، ص 230.

5 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 613.

6 ــ إميل ناصيف، من أروع ما قال الشعراء العرب الحكماء، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ص 170.

7 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 184.

الآخرين[1]. والمثل الروماني يقول: لا تتدخل أبدا فيما لا يعنيك[2]. وقد قيل ثلاثة إن أهينوا فلا يلوموا إلاّ أنفسهم: المتآمر على رب البيت في بيته، والدّاخل بين اثنين في حديث لم يدخلاه فيه، والمتورد دعوة لم يدع إليها[3]. وقال الأحنف: ما دخلت بين اثنين قط حتى يكونا هما يدخلاني في أمرهما[4]. وقد تمثّل أكثم بن صيفي بقوله: الحَزْمُ حِفْظُ مَا وُلِيتَ؛ وَتَرْكُ مَا كُفِيتَ[5]. وهذا حث على ترك ما يعني، قال أبو هلال ـــ رحمة الله عليه ـــ : « ولا أعرف شيئا أشد على الأحمق من تركه ما لا يعنيه واشتغاله بما يعنيه؛ على أن فيما يعني شغلا عمّا لا يعني[6].»

ولبعضهم في المعنى:

عَلَى فِيكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيكَ قَوْلُهُ بِقُفْلٍ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتَ اقْفِلِ[7].

قيل لحكيم: ما أصعب الأشياء؟ قال: معرفة الإنسان عيب نفسه؛ والإمساك عن الكلام فيما لا يعنيه[8].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» حديث حسن رواه الترمذي وغيره[9].

يقول العلامة ابن عثيمين ـــ رحمة الله تعالى عليه ـــ في شرحه للحديث المتقدم: « ما تتدخل في أمور الناس إذا كان هذا لا يهمك؛ هذا خلاف ما يفعله بعض الناس اليوم من حرصه على إطلاعه على أعراض الناس وأحوالهم، ويجد اثنين يتكلمان فيحاول أن يتقرب منهما حتى يسمع ما يقولان... فالأمور التي لا تعنيك اتركها، فإن هذا من

---

1 ـــ المرجع السابق، ص 184.

2 ـــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 11.

3 ـــ الخوارزمي، الأمثال، ص 120.

4 ـــ الميداني، مجمع الأمثال، ج3، ص 400.

5 ـــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 354.

6 ـــ المصدر نفسه، ج1، ص 354.

7 ـــ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 308.

8 ـــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 19.

9 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 68، ص 47.

حسن إسلامك وهو أيضا فيه راحة للإنسان، فكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه هذا هو الراحة؛ أمّا الذي يتتبع أحوال الناس فإنه سوف يتعب تعبا عظيما ويفوت على نفسه خيرا كثيرا مع أنه لا يستفيد شيئا[1].»

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال«...وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ...» رواه البخاري[2].

قال العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله تعالى عليه ــ في شرحه الحديث المتقدم: «يعني الذي يتسمع إلى أناس وهم يكرهون أن يسمع فإنه يصب في أذنيه الآنُكُ يوم القيامة. قال العلماء: الآنُكُ هو الرصاص المذاب والعياذ بالله؛ والرصاص المذاب بنار جهنم أعظم من نار الدنيا بتسع وستين مرة؛ سواء كانوا يكرهون أن يسمع لعرض صحيح أو لغير غرض؛ لأن بعض الناس يكره أن يسمعه غيره ولو كان الكلام ما فيه خطأ ولا فيه سب؛ ولكن لا يريد أحدا أن يسمعه»[3].

26. الخطأ في فحوى الكلام:

يْصَبّْ وْرَا الطّاسْ [4].

يقال في الرجل يتحدث عن أشياء لا يعرفها؛ فيخلط ويخبط خبطا عشوائيا؛ مثله مثل من راح يفرغ الماء في غير وعاء؛ بينما كان المفروض أن يملآ وعاءه[5]، ومنه قولهم: يْخَلّْطْ شَعْبَانْ مْعَ رَمْضَانْ[6]؛ ويضرب ذلك لمن يخلط بين الأشياء ويخطئ في فحوى الكلام. وقد قال تعالى ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[7].

---

1 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج1، ص 249.

2 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1552، ص 379.

3 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 624.

4 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 111.

5 ــ المرجع نفسه، ص 111

6 ــ المرجع نفسه، ص 73

7 ــ سورة النور، الآية: 15

فلقد انتشرت بين الناس أخطاء خطيرة، أشد خطرا من أمراض الأجسام؛ ألا وهي الأخطاء الشائعة التي تفشت بين الناس بسبب الجهل والخلط بين الأمور؛ وحسبها كثير من الناس هينة؛ وهي عند الله عظيمة؛ لأنها قد تحتوي على الشرك الأكبر والأصغر.

ومنه قولهم: شَخَبٌ فِي الإِنَاءِ وَشَخَبٌ فِي الأَرْضِ[1]. والشَّخَبُ: ما خرج من الضّرع من اللبن إذا احتلب[2]؛ فشبه بالحليب من يخلط في كلامه.

27. المدح والثناء:

الْمَشْكُورْ مَقْعُورْ[3].

أي من كثر مديحه فإنه ناقص[4]، يضرب لتبيان أن المدح قد يكون متكلفا، خاصة إذا مدح الإنسان نفسه وزكاها؛ والله تعالى يقول : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[5].

فالمدح مكروه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه؛ وجائز لمن أُمن ذلك في حقه؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يثني على رجل ويُطْرِيهِ في المدحة؛ فقال: « أَهْلَكْتُمْ؛ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ» متفق عليه[6]. والإِطْرَاءُ: المبالغة في المدح. وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأثنى عليه رجل خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ــ يقول مرارا ــ إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ؛ وَحَسِيبُهُ اللهُ؛ وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا» متفق عليه[7].

---

1 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 83.

2 ــ المصدر نفسه، ج3، هامش ص 83.

3 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 166.

4 ــ المرجع نفسه، ص 166.

5 ــ سورة النجم، الآية: 32.

6 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1797، ص 432 وما بعدها.

7 ــ المصدر نفسه، الحديث رقم 1798، ص 433.

قال أكثم بن صيفي: حب المدح رأس الضياع[1]، وقال عمر رضي الله عنه: المدح الذبح[2]. والمثل العربي يقول: من حفنا أو رفّنا فليترك؛ ويروى: فليقتصد؛ معناه: من يمدحنا ويزكينا فليقتصد؛ والحف والرّف: التزيين؛ وقال بعضهم: من أراد برّنا والتفضل علينا فليمسك فقد استغنينا[3].

وقد يباح المدح؛ ويكون الممدوح أهلا لما يقال عنه؛ إن كان عنده كمال إيمان ويقين؛ ورياضة نفس؛ ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن؛ ولا يغتر بذلك؛ ولا تلعب به نفسه؛ فالمدح عندها ليس بحرام ولا مكروه[4].

ذكر أن رجلا مدح آخر في وجهه فقال له: يا عبد الله لما مدحتني؛ أجرّبتني عند الغضب فوجدتني حليما؟ قال: لا. قال أجربتني في السفر فوجدتني حسن الخلق؟ قال: لا قال: أجربتني عند الأمانة فوجدتني أمينا؟ قال: لا قال: فلا يحل لأحد أن يمدح آخر ما لم يجربه في هذه الأشياء الثلاثة[5].

وذلك معنى قول عبيد بن الأبرص:

وَلَا تُظْهِرَنَّ وُدَّ امْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ وَبَعْدَ بَلَاءِ الْمَرْءِ فَاذْمُمْ أَوِ احْمَدِ[6]

قال العلامة ابن عثيمين ـــ رحمة الله تعالى عليه ـــ في بيان مدح الإنسان: هذا له أحوال، الحالة الأولى: أن يكون في مدحه خير وتشجيع له على الأوصاف الحميدة والأخلاق الفاضلة؛ فهذا لا بأس به... والثاني: أن نمدحه لتبين فضله وينتشر ويحترمه الناس... هذا لا بأس به، الثالث: أن يمدحه غيره ويغلو في إطرائه ويصفه بما لا يستحق؛ فهذا محرم وهو كذب وخداع... وهو أيضا ضرر على الممدوح، الرابع: أن يمدحه بما هو فيه، لكن يخشى أن الإنسان الممدوح يغير بنفسه، ويهو بنفسه ويترفع على غيره؛ فهذا

---

1 ـــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 384.

2 ـــ المصدر نفسه، ج1، ص 384.

3 ـــ المصدر نفسه، ج2، ص 229.

4 ـــ انظر، الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ص 433.

5 ـــ زامل صالح الزّامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 135.

6 ـــ المرجع نفسه، ص 225.

أيضا محرم لا يجوز[1].

قيل: الإطراء يدعوا إلى الغفلة[2]، وقيل : استحياء الكريم من المدح أكثر من استحياء اللئيم من الذم[3]. وقيل: من أحب أن يمدحه بما ليس فيه فقد استهدف السخرية[4].

28. التفوه بالبلاهات والأباطيل

يْقُولْهَا اللّْسَانْ وْيَهْرَبْ تَحْتْ السّْنَانْ [5].

يندد بهذه العبارة ذوو الجسارة والجراءة على غيرهم؛ أولئك الذين يتفوهون بالبلاهات؛ ويقولون ما لا يصدقه عاقل؛ ويرمون الناس بالاتهامات الكاذبة؛ فلا يترددون ولا يخافون من ربهم[6].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[7].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[8].

قال العلامة ابن عثيمين ــ رحمه الله تعالى ــ: «الإيذاء يشمل الإيذاء بالقول والإيذاء بالفعل، والإيذاء بالترك، أما الإيذاء بالقول فأن يسمع أخاه كلاما يتأذى به وإن لم يضرّه؛ فإن ضرّه كان أشد إثما، والإيذاء بالفعل أن يضايقه في مكانه؛ في جلوسه؛ في طريقه؛ وما أشبه ذلك. والإيذاء بالترك أن يترك شيئا يحتار منه أخوه المسلم فيتأذى به

---

1 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 838 وما بعدها.

2 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 380.

3 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج1، ص 380.

4 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج1، ص 381.

5 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 137.

6 ــ المصدر نفسه، ص 137.

7 ــ سورة النور، الآية: 19.

8 ــ سورة الأحزاب، الآية: 58.

وإن كان لا بد، كل هذا محرم وعليه هذا الوعد الشديد» [1].

إن من جملة الكبائر؛ الخوض في الأعراض برمي الغير بالمحصنات أو قذف المحصنات العفيفات؛ ومن يفعل ذلك فإنه ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، وقد بين ذلك الذهبي في قوله: «والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة. أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة. أو يقول لولدها: يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة. أو يقول لبنتها: يا بنت الزانية، أو يا بنت القحبة. فإن القحبة عبارة عن الزانية، فإذا قال أحد من رجل أو إمرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل يا زاني، أو قال لصبي حر: يا علق، أو يا منكوح، وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلا أن يقيم البينة بذلك، والبينة كما قال الله تعالى: أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل، فإن لم يقم البينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه. وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه: يا زاني أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة» [2].

فلا يحل للمسلم أن يقذف أخاه المسلم ولا أخته المسلمة؛ ومن يأتي ذلك وجبت عقوبته؛ يقول ابن عثيمين ــ رحمه الله تعالى ــ : «القاذف يعاقب بثلاث عقوبات:

العقوبة الأولى: أن يجلد ثمانين جلدة.

والعقوبة الثانية: أن لا تقبل له شهادة أبدا؛ كلما شهد عند القاضي ترد شهادته. سواء شهد بالدماء أو شهد برؤية الهلال أو شهد بأي شيء آخر؛ يرفض القاضي شهادته ويردها.

العقوبة الثالثة: الفسق أن يكون فاسق بعد أن كان عادلا، فلا يزوج ابنته ولا أخيه ولا يتقدم إماما في المسلمين عند كثير من العلماء. ولا يولى أي ولاية لأنه صار فاسقا» [3].

---

1 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج 2، ص 658.

2 ــ الذهبي، شرح الكبائر، ص 152.

3 ــ المصدر نفسه، ص 151 وما بعدها.

فليتق الله كل من يبغي أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين؛ وليحفظ لسانه من التفوه بالبلاهات التي لا طائل من ورائها غير الفساد والإفساد؛ وينبغي لكل عاقل أن يغلق أسنانه دون لسانه لئلا يعرضه لسخط الله وغضبه.

29. تسرّب الأحاديث وتفشي الأسرار

مْنَ الْحْبِيبْ لَلْحْبِيبْ حَتَّى يَنْقُلْهَا الدِّيبْ[1].

ويقصد به الأسرار التي تنقل بين الأصدقاء ثم تترسب إلى الغرباء[2]، فكل سر جاوز الإثنين شاع وذاع؛ والمصريون يتمثلون بقولهم: كِلْمَة بِيْنْ اثْنَيْنْ تِصْبَحْ بِيْنْ أَلْفَيْنْ[3]، ومثل مصري آخر يقول: السِّرْ بِينْ اثْنِينْ... وَإِنْ جَالُهْ ثَالِثْ فَسَّدُهْ[4]، وبلفظ آخر: السِّرْ إِنْ زَادْ عَنِ اثْنِينْ... يِتْعِرِفْ[5]، والمثل في الموصل بلفظ: السِّرْ بِينْ اثْنِينْ يِصِيرْ بِينْ أَلْفِينْ[6]. ويقول جميل بثينة:

وَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرَّكَ ثَالِثٌ ... أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَاعَ[7]

قال بعض الأوائل: اجعل سرك إلى واحد ومشورتك إل ألف[8]. والمثل الفصيح يقول: السر أمانة[9]، وآخر يقول: سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ[10]. والمعنى أنّك ربما أفشيت سرّك فكان سرّك فيه حَتْفُكَ... قال عامر الخزرجي:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِسِرِّكَ جُنَّةً ... تَعَرَّضْتَ أَنْ تُرْوَى عَلَيْكَ العَجَائِبُ

---

1 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 170.

2 ــ المرجع نفسه، ص 170.

3 ــ وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 230.

4 ــ المرجع نفسه، ص 273.

5 ــ المرجع نفسه، ص 273.

6 ــ المرجع نفسه، ص 273.

7 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، ص 46.

8 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الأول، ج1، ص 69.

9 ــ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 510.

10 ــ المصدر نفسه، ج1، ص 510.

ومن أمثالهم في ذلك قول الآخر:

وَسِـــرُّكَ مَـــا كَـــانَ عِنْـــدَ امْـــرِئٍ وَسِـــــرُّ الثَّلَاثَـــــةِ غَـــيْرُ الخَفِـــيِّ

وقول سابق البربريّ:

أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعُ[1].

وقد حاكاه أحدهم فقال:

كُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي القِرْطَـــاسِ ضَـــاعْ كُلُّ سِرٍّ جَـــاوَزَ الإِثْـــنَيْنِ شَـــاعْ[2]

ومثله قول صالح بن جناح:

فَـــلَا تَمْـــذُلْ بِـــسِرِّكَ كُـــلُّ سِـــرٍّ إِذَا مَـــا جَـــاوَزَ الإِثْـــنَيْنِ فَـــاشِ[3]

ويقول بعض الشعراء ناصحا:

وَالـــسِّرَّ فَاكْتُمْـــهُ وَلَا تَنْطِـــقْ بِـــهِ إِنَّ الزُّجَاجَـــةَ كَـــسْرُهَا لَا يُـــشْعَبُ

وَكَذَلِكَ سِـــرُّ المَـــرْءِ إِذَا لَمْ يُطْـــوِهِ نَشَرَتْهُ أَلْـــسِنَةٌ تَزِيـــدُ وَتَكْـــذِبُ[4]

وها هو فولتير يقول: من يبع سره غيره يكن خائنا، وبسره يكن أبله[5]. وعمرو بن العاص يقول: إذا أفشيت سرّي إلى صديقي؛ كان اللوم عليّ لا عليه، لأني كنت أولى بصيانته منه[6].

وقال أحدهم:

سَـــأَكْتُمُهُ سِـــرِّي وَأَحْفَظُـــهُ سِـــرَّهُ وَلَا غَـــرَّنِي أَنِّي عَلَيْـــهِ كَـــرِيمُ

1 ــ المصدر السابق، ج1، ص 510 وما بعدها.

2 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، ص 46.

3 ــ الزوزني، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، ص 137.

4 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من خلال الحكم والأمثال، ج1، ص 378.

5 ــ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، ص 46.

6 ــ المرجع نفسه، ص 47.

حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُضِيعُهُ وَمَا النَّاسُ إِلاَّ جَاهِلٌ وَحَلِيمُ[1]

وممّا قيل عن كتمان السر: أصبر الناس من صبر على كتمان سرّه و لم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيذيعه[2].

وقال الشاعر:

فَلاَ تُودِعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحْمَقَا فَإِنَّكَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ مِنْهُ أَحْمَقُ
وَحَسْبُكَ فِي سِرِّ الأَحَادِيثِ وَاعِظًا مِنَ القَوْلِ مَا قَالَ الأَرِيبُ المُوَفَّقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِرَّ أَضْيَقُ[3]

ولبعضهم في الكتمان:

لَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي خَطَرٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ كَرِيمِ النَّاسِ مَكْتُومُ
وَالسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالبَابُ مَرْدُومُ[4]

وفي الحكمة القديمة: سِرُّكَ لَا يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرُكَ[5].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي من حديث جابر: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ »[6]. قال الحسن: إنّ من الخيانة أن تحدث بسرّ أخيك[7].

قال العلامة ابن عثيمين ــ رحمة الله عليه ــ: «والسِّرُّ: هو ما يقع خفية بينك وبين صاحبك، ولا يحلّ لك أن تفشي هذا السرّ أوأن تبيّنه لأحد، سواء قال لك لا تبيّنه لأحد، أو علم بالقرينة الفعلية أنه لا يحبّ أن يطّلع عليه أحد ، أو علم بالقرينة الحالية أنه

1 ــ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص 18.

2 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 18.

3 ــ المصدر نفسه، ج2، ص 18 و ما بعدها.

4 ــ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الأول، ص 438.

5 ــ المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص 29.

6 ــ الإمام أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 278.

7 ــ المصدر نفسه، ج3، ص 278.

لا يجب أن يطلع عليه أحد. ومثال الأول: اللفظ؛ أن يحدثك بحديث ثم يقول: لا تخبر أحدا؛ هو معك أمانة، ومثال الثاني: القرينة الفعلية؛ أن يحدثك وهو في حال تحديثه إياك يلفت؛ يخشى أن يكون أحد يسمع، لأن معنى إلتفاته أن لا يجب أن يطلع عليه أحد. ومثال الثالث: القرينة الحالية؛ أن يكون هذا الذي حدثك به وأخبرك به من الأمور التي يستحيا من ذكرها أو يخشى من ذكرها أو ما أشبه ذلك؛ فلا يحل لك أن تبين وتفشي هذا السر[1].»

قال الإمام أبي حامد الغزالي: « إفشاء السر منهي عنه؛ لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء... فإفشاء السر خيانة؛ وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إصرار[2].»

قال بعضهم: كتمانك سرك يعقبك السلامة؛ وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة؛ والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على إفشائه[3].

وفي الحكمة: ما أقبح الإنسان أن يخاف على ما كان في يده اللصوص فيخفيه، ويمكن عدوه من نفسه بإظهار ما في قلبه من سرّ نفسه؛ أو سرّ أخيه[4].

قال معاوية ــ رضي الله عنه ــ: ما أفشيت سري إلى أحد إلاّ أعقبني طول الندامة؛ وشدة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري فحكمته بين أضلاعي إلا أكسبني مجدا وذكرا وثناء ورفعة[5]. ومنه المثل الشعبي الجزائري: دَسَّاسْ الْحَاجَة مَا يَنْدَمْ[6]. وعبارة (دَسَّاسْ الْحَاجَة) بمعنى: مخفي الأمر.

قال علي ــ رضي الله عنه ــ: سرّك أسيرك؛ فإذا تكلمت به صرت أسيره؛ واعلم أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأحوال (الأموال)، وحفظ الأموال أيسر من

---

1 ــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج1، ص 964.

2 ــ الإمام أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 278.

3 ــ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، المجلد الثاني، ص 309.

4 ــ المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص 309.

5 ــ المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص 309.

6 ــ رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 58.

كتمان الأسرار؛ لأن أحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال؛ وأحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق؛ ويشيعها كلام سابق، وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال؛ فإن الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به؛ ولا يستطيع كتم السر؛ وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما يلحقه من حمل الأثقال؛ فإذا أداعه استراح قلبه؛ وسكن خاطره؛ وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا[1].

وقال عمر بن عبد العزيز ــ رضي الله عنه ــ: القلوب أوعية؛ والشفاه أقفالها؛ والألسن مفاتيحها؛ فليحفظ كل إنسان مفتاح سره؛ ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها؛ وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها؛ وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتمه أمن من سطوته[2]. وقيل: كلما كثرت خزان الأسرار زادت ضياعها[3].

30. حفظ الأسرار:

الْغَابَة بْوَدْنِيهَا، وَالسَّاحَة بْعَيْنِهَا[4].

أي أن الغابة تسمع لأن بها حجاب الأشجار، والساحة ترى لأنها مكشوفة[5]، وبلفظ آخر: اللِّيْلْ بَوْدِينَتَهْ والنَّهَارْ بَعْوِينَاتَهْ[6]. والقصد من هذا أنه على المرء حفظ نفسه وأسراره في كل حال؛ ويضرب في حفظ الأسرار[7]. ويحاكي ذلك المثل العربي: لِلْحِيطَانِ آذَانٌ[8]. وفيه حض على كتمان الأسرار وعدم البوح بها. ومن ذلك قول ابن عبد الحميد اللاحقي:

---

1 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 337.

2 ــ المرجع نفسه، ج1،ص 337.

3 ــ المرجع نفسه، ج1،ص 337.

4 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 114.

5 ــ المرجع نفسه، ص 114.

6 ــ المرجع نفسه، ص 114.

7 ــ المرجع نفسه، ص 114.

8 ــ عبد القادر صالح، الأمثال العربية، ص 215.

اِخْفِضِ الـصَّوْتَ إِذَا نَطَقْـتَ بِلَيْـلٍ وَالْتَفِتْ بِالنَّـهَارِ قَبْـلَ الكَـلَامِ[1]

قيل لرجل: كيف كتمانك للسّر؟ قال: قلبي قبره وصدري حبسه[2].

وقال كشاجم:

وَيُكَـاتِمُ الأَسْـرَارَ حَـتَّى إِنَّـهُ لَيَـضُونُهَا عَـنْ أَنْ تَمُـرَّ بِخَـاطِرِهْ[3]

قيل: انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل، ولا جاهلا فيخون[4].

وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال؛ وكما أنه لا خـير في آنيـة لا تمسك ما فيها؛ فكذلك لا خير في إنسان لا يمسك سره[5].

قال الشاعر:

وَمُسْتَوْدِعِي سِـرًّا كَتَمْـتُ مَكَانَـهُ عَنِ الحِسِّ خَوْفًا أَنْ يَنِمَّ بِـهِ الحِـسُّ

وَخِفْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شُهْـرَةً فَأَوْدَعْتُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَبْلُغُ الحِـسُّ[6]

وقال آخر:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَـنْ حَـدِيثٍ وَأَفْـشَتْهُ الرِّجَـالُ فَمَـنْ تَلُـومُ؟

وَإِنْ عَاتَبْتُ مَـنْ أَفْـشَى حَـدِيثِي وَسِـرِّي عِنْـدَهُ فَأَنَـا المَلُـومُ[7]

وقيل لأعرابي: ما بلغ من حفظك السر؟ قال: أفرقه تحت شِغَافِ قلبي ثم أجمعـه وأنساه كأنّي لم أسمعه[8]. وقال حكيم: قُلُوبُ الأَحْرَارِ قُبُورُ الأَسْرَارِ[9].

---

1 ــ الخوارزمي، الأمثال، ص 274.

2 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج1، ص 125.

3 ــ المرجع نفسه، المجلد الأول، ج1، ص 126.

4 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 337.

5 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 338.

6 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 338.

7 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 339.

8 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 339.

9 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 339.

31. المن بالعطاء والصدقة:

خُبْزْ الْعْفَانَة وَلاَّ خُبْزْ الْمْنَّانَة[1]

الْعْفَانَة: في المفهوم الشائع قليلة النظافة، والْمْنَّانَة: مؤنّث مَنَّانْ؛ وهي التي تفعل خيرا وتذكر به في كل حين[2]. وبلفظ آخر: كَسْرَةْ الْمْشْحَاحَة وَلاَّ كَسْرَةْ الْمْنَّانَة[3]. و"الْكَسْرَة": هي القطعة من الخبز. ويضرب هذا المثل في مقت المن بالمعروف؛ وأن أذى اللسان أقبح من أذى المرض؛ وأنّ تلوّث الأفكار أضرّ من تلوّث الطعام[4].

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[5]؛ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾[6]؛ وعن أبي ذر رضي الله عنه؛عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُم اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ وَلَا يَنْظُر إِلَيْهِمْ؛ وَلَا يُزَكِّيهِمْ؛ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. فقال أبو ذر: خابوا وخسروا؛ من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ؛ وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلْفِ الكَاذِبِ» رواه مسلم[7].

قال العلامة ابن عثيمين ـــ رحمة الله عليه ـــ عن المنّ بالعطاء والصدقة ونحوها: «وذلك أن الإنسان إذا أعطى أحدا من الناس عطاء؛ إن كان صدقة فقد أعطاها لله عز وجل؛ وإن كان إحسانا فالإحسان مطلوب، فإذا كان كذلك فإنه لا يجوز للإنسان أن يَمُنَّ بالعطية؛ فيقول: أنا أعطيت كذا؛ وأعطيت فلانا كذا لِيَمُنَّ بذلك عليه... فالإنسان إذا مَنَّ فإنّ الصّدقة تبطل ولا ثواب له فيها وهو من كبائر الذنوب»[8].

---

1 ـــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 61.

2 ـــ المرجع نفسه، ص 61.

3 ـــ المرجع نفسه، ص 61.

4 ـــ المرجع نفسه، ص 61.

5 ـــ سورة البقرة، الآية: 264.

6 ـــ سورة البقرة، الآية :262.

7 ـــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1596، ص 392.

8 ـــ العلامة محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ج2، ص 681.

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر: أحسنت إليك وفعلت وفعلت. فقال له ابن سيرين: أسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي[1]. وكان بعضهم يقول: من منّ بمعروفه سقط من شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره[2].

وأشد بعضهم فقال:

وَصَاحِبٌ سَلَفْتُ مِنْهُ إِلَى يَدٍ ... أَبْطَأَ عَلَيْهِ مُكَافَأَتِي فَعَادَانِي

لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ حَارَبَنِي ... أَبْدَى النَّدَامَةَ مِمَّا كَانَ أَوْلَانِي

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حُسْنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أَعْطَى بِمَنَّانِ[3]

32. الوفاء بالوعد والالتزام بالعهد:

قَالَتْ مُوكَة: أَنَا خِيرْ مْنَ ثْلَاثَة: اللِّي قَالْ الْكَلْمَة وْمَا وَفَّاهَا؛ وَاللِّي دَارْ قَصْعَة وْمَا مْلَاهَا؛ وَاللِّي كَبْرَتْ بَنْتَهْ وْمَا اعْطَاهَا[4].

الوفاء بالعهد واحترام الكلمة تفرضها العادات والأخلاق والأديان في كل المجتمعات؛ فعدم احترام الكلمة نقص في كمال الرجولة ورذيلة ودليل على النذالة[5]. فالوفاء بالكلمة مقياس للتمييز بين الرجل الفاضل وغير الفاضل؛ وذلك قولهم: الْمُومْنِينْ عَنْدْ أَقْوَالْهَا[6]. فالرجل الذي يسعى لصون رجولته عن كل ما يدنس صفاءها هو ذلك الرجل الذي يفي بوعده ولا ينكث عهده باحترامه لكلمته؛ والتزامه بما صدر عنه، ولتأكيد الكلام ينسب إلى الرجل كدليل على الوفاء بالعهد والوعد؛ وذلك في قولهم:

---

1 ــ الذهبي، شرح الكبائر، ص 256.

2 ــ المصدر نفسه، ص 256.

3 ــ المصدر نفسه، ص 257.

4 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 62.

5 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 154.

6 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 60.

كَلْمَة انْتَاعْ الرّْجَالْ[1]. ومن وفى بكلمته فقد ارتاح وأراح، والمثل السوري يقول: أسعد أيامك تنفيذ كلامك[2].

ولفظة "مُوكَة": تعني البومة التي تعتبر كمثل لأشأم الطيور؛ فهي قبيحة نتنة مشؤومة، ومع هذا فإنّها أحسن بكثير من الذين لا يحترمون قوانين الشّرف والكرامة[3].

والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[4].

قال عبد الله بن عمر ــ رحمه الله ــ : «خلف الوعد ثلث النفاق؛ وصدق الوعد ثلث الإيمان؛ وما ظنك بشيء جعله الله تعالى مدحة في كتابه وفخرا لأنبيائه؛ فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[5]» [6].

ولو لم يكن في خلف الوعد إلاّ قول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ﴾[7] لكفى[8].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ؛ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفق عليه. زاد في رواية مسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ» [9].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا؛ وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ

---

1 ــ رابح خدوسي, موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 121.

2 ــ رابح خدوسي، موسوعة العالم في الأمثال والحكم، ص 212.

3 ــ الأستاذ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 62.

4 ــ سورة المؤمنون، الآية: 8.

5 ــ سورة مريم ، الآية: 54.

6 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص244 وما بعدها.

7 ــ سورة الصف، الآيتان: 3،2.

8 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1، ص 245.

9 ــ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 694، ص 212.

فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان؛ وإذا حدث كذب؛ وإذا عاهد غدر؛ وإذا خاصم فجر» متفق عليه[1].

وقد قالوا: الخلف ألأم من البخل؛ لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذم اللؤم وحده، ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مذمات: ذمّ اللؤم؛ وذمّ الخلف، وذمّ الكذب[2].

يقول محمد الغزالي: «إذا أبرم المسلم عقدا فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدا فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه، فيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها ولا مطمع في اصطيادها» [3].

33. احترام الكلمة:

اَلْكَلَامْ كِالْبَارُودْ، إِذَا خْرَجْ مَا يْوَلِّيشْ[4].

يقال في عدم الرجوع في الكلمة التي يتلفظ بها وضرورة الإلتزام بها؛ فهي كطلقة البارود؛ إذا خرجت لن تعود؛ ومما يوافق هذا قولهم: اَلْكَلْمَة رْصَاصَة إِذَاخَرْجَتْ مَا تَرْجَعْ[5]، والمراد الإلتزام بما يصدر عن اللسان من كلام، فكلمة الرجل هي شرفه والميزان الذي يوزن به بين الناس؛ وذاك قولهم: رَاسْ مَالْ الرَّجَلْ كَلْمْتُو[6]. أو ما يردد عند الإيسلنديين: كلمة الرجل؛ شرف الرجل[7]. وفي هذا المعنى يتمثل الإثيوبيون بقولهم: الكلمة التي تخرج من الفم كالبيضة التي تسقط من اليد[8]. والروسيون بقولهم: الكلمة كالسهم حين تنطلق لا تعود[9]. وفي هذا المعنى قال الراجز:

---

1 ــ المصدر السابق، الحديث رقم 695، ص 212.

2 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1، ص 247.

3 ــ محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 54.

4 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 172.

5 ــ المرجع نفسه، ص 172.

6 ــ المرجع نفسه، ص 84.

7 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 213.

8 ــ المرجع نفسه، ص 214.

9 ــ المرجع نفسه، ص 219.

وَالقَـــوْلَ لاَ تَمْلِكُـــهُ إِذَا نَمَـــا كَالسَّهْمِ لاَ يُرْجِعُـــهُ رَامٍ رمَـــى[1]

وعن عدم استطاعة رد الكلمة المتفوه بها قالت العرب: لاَ تَرْتَدُّ عَلَـــى قَرْوَاهَـــا. القَرْوَى، فَعْلَى مِنَ القَرْوِ وَهُوَ التَّتَبُّعُ، يقال: قَرَوْتَ البِلاَدَ إِذَا تَتَبَّعْتَهَا بأن تخرج مـــن أرض إلى أرض، يضرب للرجل يتكلم بالكلمة لا يستطيع أن يردها... أي لا ترجع الكلمـــة على عقبها بعدما فهت بها[2].

قال إبراهيم بن عبلة:

فَإِنَّـــكَ لَـــنْ تَـــرُدَّ الـــدَّهْرَ قَـــوْلاً نَطَقْـــتَ بِـــهِ وَأَنْدِيَـــةُ قُعُـــودُ
كَمَـــا لَمْ تَرْجِـــعْ مِـــسْقَاةُ مَـــاءٍ وَلَمْ يَرْتَـــدَّ فِي الـــرَّحِمِ وَلِيـــدُ[3]

34. وجوب الإلتزام بالكلمة:

كَلْمَةْ " لاَ لاَ" ذْكَرْ، وْكَلْمَةْ "إِيهْ" أُنْثَى[4].

قال ابن حازم:

إِذَا قُلْـــتَ فِي شَـــيْءٍ "نَعَـــمْ" فَأَتِمَّـــهُ فَإِنَّ "نَعَمْ" دَيْنٌ عَلَى الحُـــرِّ وَاجِـــبُ
وَإِلاَّ فَقُلْ "لاَ" تَـــسْتَرِحْ وَتُـــرِحْ بِهَـــا لِئَلاَّ يَقُولَ النَّـــاسُ إِنَّـــكَ كَـــاذِبُ[5]

وقال بعض الشعراء:

مَنْ قَالَ "لاَ" فِي حَاجَةٍ مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمْ وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ قَالَ "لاَ" بَعْـــدَ "نَعَمْ"[6]

ويحاكيه الشاعر المثقب العبدي:

لاَ تَقُلَـــــــنَّ إِذَا لَمْ تُـــــــرِدْ أَنْ تُـــتِمَّ الوَعْـــدَ فِي شَـــيْءٍ "نَعَـــمْ"

---

1 ــ الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 203.

2 ــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الثاني، ص 241.

3 ــ الدكتور عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، ص 169.

4 ــ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 173.

5 ــ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1 ص 245.

6 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج1، ص 515.

حَسَنٌ قَوْلُ "نَعَمْ" مِنْ بَعْدِ "لَا" وَقَبِيحٌ قَوْلُ "لَا" بَعْدَ "نَعَمْ"
إِنَّ "لَا" بَعْدَ "نَعَمْ" فَاحِشَةٌ فَبِـ "لَا" فَابْدَأْ إِذَا خِفْتَ النَّدَمْ
وَإِذَا قُلْتَ "نَعَمْ" فَاصْبِرْ لَهَا يَنْجَازُ الوَعْدُ إِنَّ الخُلْفَ ذَمْ[1]

وأنشد أحدهم:

عَلَامَ قُلْتَ "نَعَمْ" حَتَّى إِذَا وَجَبَتْ أَتْبَعْتَ "لَا" بِـ "نَعَمْ" مَا هَكَذَا الجُودُ[2]

35. التحذير من ترك كلمة الحق:

السَّاكِتُ عَلَى الْحَقِّ كَالنَّاطِقِ بَالْبَاطِلِ[3].

يقول الإمام ابن قيم الجوزية: « فالسّاكت عن الحقّ شيطان أخرس؛ عاص الله؛ مراء مداهن إذا لم يخف على نفسه؛ والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص الله[4].»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

فالصمت إنما يحمد في مواطنه، ويكون عما لا ينبغي من الباطل؛ وذاك الصمت الممدوح؛ أما السكوت عن الحق فإنه خزي؛ وصاحبه منافق مراء؛ مثله مثل من نطق بالباطل ورضي لنفسه أن ترتع في براثن الآفات والمنكرات؛ وهذا ما لا يفعله مسلم قد أسلم وجهه وأمره لله عز وجل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هِيبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ» [6].

---

1 ــ المرجع السابق، ج2، ص 229 وما بعدها.

2 ــ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المجلد الأول، ج2، ص 560.

3 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 87.

4 ــ الإمام ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 167.

5 ــ سورة البقرة، الآية: 42.

6 ــ محمود بن الجميل، المختارة في الأخلاق والبر والصلة من صحيحة الألباني، ص 40.

فالحق أحق أن ينطق به؛ ولا يولي الناطق به أي اهتمام لمن يعارضه من أهل الضلالة والباطل، ولا يخش في الله لومة لائم؛ يقول العلامة الألباني رحمه الله معلقا على الحديث المتقدم: «وفي الحديث النهي المؤكد عن كتمان الحق خوفا من الناس، أوطمعا في المعاش.

فكل من كتمه مخافة إيذائهم إياه بنوع من أنواع الإيذاء كالضرب والشتم، وقطع الرزق، أو مخافة عدم احترامهم إياه، ونحو ذلك، فهو داخل في النهي ومخالف للنبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان هذا حال من يكتم الحق وهو يعلمه، فكيف يكون حال من لا يكتفي بذلك، بل يشهد بالباطل على المسلمين الأبرياء ويتهمهم في دينهم وعقيدتهم مسايرة منه للرعاع، أو مخافة أن يتهموه هو أيضا بالباطل إذا لم يسايرهم على ضلالهم واتهامهم؟! فاللهم ثبتنا على الحق، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين» [1]

36. قول الحقيقة:

قُلْ الْقَمْحْ خِيرْ مْنَ الشْعِيرْ وْمَا يْحَاسْبَكْشْ اللهْ[2].

معناه: قل الحقيقة ولا تخش لومة لائم[3]. والمثل الأرميني يقول: أعط من يقول الحقيقة حصانا؛ سيحتاج إليه ليهرب[4]. ويقول الشيخ عبد الرحمن المجذوب:

إِلِّي يَرْكَبْ يَرْكَبْ أَشْهَبْ طَرْزْ الذْهَبْ فِي لْجَامُه

إِلِّي يْدَوَّرْ يْقُولْ كَلْمَةْ الْحَقّْ يْدِيرْ هْرَاوَة فِي حْزَامُه[5]

والمثل الفصيح يقول: الحق أبلج؛ والباطل لجلج[6]. يراد به أن الحق متكشف؛ والباطل ملتبس[7]... قال الشاعر:

---

1 ــ المرجع السابق، ص 40 وما بعدها.

2 ــ رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 123.

3 ــ المرجع نفسه، ص 123.

4 ــ رابح خدوسي، قاموس العالم في الأمثال والحكم، ص 71.

5 ــ الشيخ عبد الرحمن المجذوب، القول المأثور، ص 23.

6 ــ الشيخ أبي هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 364.

7 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص 364.

أَلَمْ تَـــرَ أَنَّ الحَـــقَّ تَلْقَـــاهُ أَبْلَجَـــا وَأَنَّكَ تَلْقَى بَاطِلَ القَـــوْلِ لَجْلَجَـــا[1]

وقال بعضهم: الحق أبلج؛ وطريق الصدق منهج؛ ومسلك الباطل أعوج[2]. وقال الشاعر:

فَـــإِنَّ الحَـــقَّ لَـــيْسَ بِـــهِ خَفَـــاءُ وَلَا تَخْفَـــى الخِيَانَـــةُ وَالخِـــلَابُ[3]

وقد تمثلت العرب بقولها: الحق خير ما قيل[4].

كتب أحمد بن اسماعيل إلى ابن المعز رقعة في فصل منها يصف الحق بقوله: و لم أر كالحقّ أصدق قائلا؛ ولا أفضل عالما؛ ولا أجمل ظاهرا؛ ولا أعزّ ناصرا؛ ولا أوثق عروة؛ ولا أحكم عقدة؛ ولا أغلى حجة؛ ولا أوضح محجة؛ ولا أعدل في النّـــصفة؛ لا يجـــري لأحد إلّا جرى عليه؛ ولا يجري على أحد إلّا جرى له؛ يستوي الملك والسّوقة في واحته؛ ويعتدل البغيض والحبيب في محضه؛ طالبه حاكم على خصمه؛ وصاحبه أمير على أميره؛ من دعا إليه ظهر إليه برهانه؛ ومن جاهد عليه كثر أعوانه؛ يمكّن من آلة القهر؛ ويجعل في أيديهم آلة النصر؛ ويحكم لهم بغلبة العاجلة؛ وسعادة الآجلة؛ و لم أر كالباطـــل أضـــعف سببا، ولا أوعر مذهبا؛ ولا أجهل طالبا؛ ولا أذلّ صاحبا؛ من اعتصم به أسلمه؛ ومن لجأ إليه خذله؛ يرتق فينفتق؛ ويرقع فينخرق؛ إن حاول صاحبه بيعه بارت ســـلعته؛ وإن رام ستره زادت ظلمته؛ لا يقارنه البرهان؛ ولا يفارقه الخذلان؛ قد قذف عليه بالحقّ يدمغـــه ويقمعه فيمحقه؛ صاحبه في الدنيا مُكَذَّب؛ وفي الآخرة مُعَذَّب؛ إن نطق دلّ على عيبـــه؛ وإن سكت تردّد في ريبه[5].

---

1 ــ المصدر السابق، ج 1، ص 364.

2 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص 364.

3 ــ المصدر نفسه، ج 1، ص 364.

4 ــ الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الأول، ص 564.

5 ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، المجلد الأول، ج1، ص 71 و ما بعدها.

ودخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك بعدما استخلف فقال له: أي القول أعدل؟ قال: كلمة حق عند من تخاف وترجو[1].

37. النصيحة:

كَلْمَة مَنْ غِيرْ فُمُّكْ تَنْفَعَكْ[2].

نصيحة من غيرك تنفعك؛ يعني به أن كلام النصح الموجه لخصمك من الآخرين يؤثر فيه؛ فينفعك ذلك النصح[3].

وقد قال إيرازموس: لاهبة أثمن من النصيحة[4]. ويقول بلوطس: من يسدي نصيحة إنما يقدم مساعدة[5].

وقد أحسن معاوية بن جعفر إذ يقول:

وَأَحِبْ أَخَاكَ إِذَا اسْتَشَارَكَ نَاصِحًا وَعَلَى أَخِيكَ نَصِيحَةً لَا تَرْدُدِ[6]

وأنشد الأصمعي:

النُّصْحُ أَرْخَصُ مَا بَاحَ الرِّجَالُ فَلَا تَرْدُدْ عَلَى نَاصِحٍ وَلَا تَلُمِ
إِنَّ النَّصَائِحَ لَا تَخْفَى مَنَاهِلُهَا عَلَى الرِّجَالِ ذَوِي الأَلْبَابِ وَالفَهمِ[7]

فالإنسان العاقل من نصح وانتصح؛ وإن كانت النصيحة مرة على البعض ممن قصر فهمهم وطغى عليهم الهوى فعميت بصائرهم؛ وعزّ عنهم قبول النصيحة، ومن ذلك قول معاذ بن مسلم:

نَصَحْتُكَ وَالنَّصِيحَةُ إِنْ تَعَدَّتْ هَوَى المَنْصُوحِ عَزَّ لَهَا القَبُولُ[8]

---

1 ــ الوشاء، كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل، ج1، ص 148.
2 ــ رابح خدوسي،، موسوعة الأمثال الجزائرية، ص 127.
3 ــ المرجع نفسه، ص 127.
4 ــ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من الحكم والأمثال، ج1، ص 395.
5 ــ المرجع نفسه،ج1، ص 395.
6 ــ د. روحي البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، ص 605
7 ــ الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 138.
8 ــ المرجع نفسه، ج1، ص 138.

ويقال: من اصفرّ وجهه من النصيحة اسوّد لونه من الفضيحة[1].

فالعاقل من عمل بالنصيحة وتقبلها بقبول حسن، والجاهل من استبد برأيه واستغنى به عن رأي الآخرين؛ فلا النصح يقبل؛ ولا الرأي ينفعه؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انعدام رشده؛ وقلة عقله؛ وفظاعة جهله.

والسعيد من نصح وانتصح؛ والشقي من استغنى برأيه وتصامم عن رأي غيره وتقويمهم له.

1 ــ المرجع السابق، ج1، ص 139.

الخاتمة

الخاتمة:

وبهذا نأتي على ختام هذا البحث في هذه الدراسة التحليلية لجملة من الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بالكلام والصمت، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

يعد المثل من ألطف الأشكال التعبيرية وأشرفها؛ وأكثرها شيوعا وذيوعا بين الناس على اختلاف أجناسهم ومستوياتهم وأعمارهم؛ وذلك لخفة استعماله وسهولة تداوله؛ مع قربه إلى الأفهام؛ وقبوله في القلب، وموقعه الحسن في الأسماع.

فالمثل هو تلك العبارة الموجزة التي قيلت في موقف من المواقف؛ وبداع من الدواعي الذاتية أو الموضوعية؛ جادت به قريحة فرد مجبول على حسن الصياغة وبراعة التصوير؛ فاستحسنه غيره وتداولته ألسنتهم واستشهدوا به في مواقفهم المماثلة لما ضرب له؛ ومن ثمة شاع وذاع وصار ملكا للمجتمع كله.

وأمثال كل شعب مصدر لمعرفة أحواله في سائر مناحي الحياة؛ وأنواع العلاقات القائمة بين أفراده؛ وكشف خبايا العادات والمعتقدات السائدة فيه؛ إنها ألصق بالحياة الشعبية وأصدق معبر عنها، فمجالها في ذلك واسع ونطاقها شاسع.

والمثل وإن صغر حجمه؛ وقل لفظه؛ إلا أنه يحوي بين جنباته حكما خالدة تتراوح بين الترغيب والترهيب؛ والنصح والإرشاد، بأساليب متنوعة وطرق متعددة، ونجد بين طياته إيجاز اللفظ؛ وقوة اللغة؛ وفصاحة البيان؛ وكثافة المعاني؛ ومحكم السبك؛ وبلاغة التصوير لحال الشعوب والأمم باعتباره الخلاصة المركزة لمختلف التغيرات والتصورات التي تمثل حياة أفراد المجتمع ومواقفهم المعيشية.

ولما كان المثل تصويرا للحياة الشعبية؛ ومرآة صادقة ومطابقة لما يعيشه الشعب من آمال وآلام، اكتسى طابع الشعبية سواء كان فصيحا أم عاميا؛ لأن العامية في المثل الشعبي تعد بلاغة وفصاحة؛ لأنها تبلغ مقاصد الفهم ومرام الاستيعاب عند من يتداولون مصطلحاتها.

إن الأمثال الشعبية تعد بحق السجل الثقافي؛ والمنظومة الفكرية؛ والإرث العريق؛ والكنز النفيس، فلكل شعب أمثاله التي يفخر بها؛ وهذا ما نلمسه في الثقافة الشعبية الجزائرية إذ أنها تزخر بثروة من الأمثال التي تبرز عراقتها النابعة من الثقافة العربية الإسلامية، وتداخلها الثقافي والحضاري والمجتمعي مع مختلف الشعوب، مما يدل دلالة واضحة على أصالتها وعراقتها وتفتحها على جميع الثقافات.

ومن جملة المواضيع التي تناولتها الأمثال الشعبية الجزائرية بأسلوب التصريح أحيانا وبالتلميح أحيانا أخرى تحليلا ونقدا؛ موضوع اللسان؛ تلك الكتلة اللحمية المتحركة بواسطة العصب والعضلات في وسط الفم؛ فما من موجود أو معدوم؛ متخيل أو معلوم؛ مظنون أو موهوم؛ إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي.

اللسان وإن صغر جُرمه؛ فقد يعظم جَرمه؛ إنه غاية الطاعة والعصيان؛ فإما أن يكون باب خير وبناء وزيادة في المودة والعلاقات الإنسانية؛ وإما أن يكون باب شر وتفرقة وحساسية وخصومة، فإن أطلق فيما ينفع ففيه الهدى والصلاح؛ والرفعة والعلو، وإن أطلق مرخي العنان؛ ففيه الفساد والإفساد؛ والسقطة والدنو.

والصمت أسلم بصاحبه؛ لأنه مخالفة للنفس التي تؤثر شهوة الكلام؛ والخوض في كل الأمور، فمن حفظ لسانه أراح نفسه من زيغ النطق، ومما يجب السكوت عنه كل كلام غير صائب؛ أو ما يعرف بآفات اللسان من غيبة؛ وكذب؛ ونميمة؛ وشهادة زور؛ ورمي بالمعضلات وقذف للمحصنات؛ ووعد كاذب وتماطل في الوفاء؛ وفحش وسب وبذاءة؛ ولعن؛ وتشدق وتكلف وتفاصح وتقعر؛ وغناء؛ وسخرية واستهزاء؛ ومراء وجدال؛ ومخالفة العلن لما يضمر في الباطن؛ وإفشاء سر ومن بالعطية؛ وكلام فيما لا يعني؛ ومدح وتزكية يخشى على صاحبها من الإفساد، وغيرها من براثن الشيطان وأوحال العصيان.

والكلام أفضل إن كان فيه النفع الدنيوي والأخروي من قراءة للقرآن؛ وذكر لله عز وجل؛ ودعاء؛ وحمد وشكر؛ وأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ ونصيحة؛ وإفشاء سلام، وغيرها من الكلام البليغ والمنطق السديد.

لكن أكثر الخلق تجده منحرفا في كلامه وسكوته؛ فلا يول لهما بالا؛ ويحسب ذلك هينا وهو عند الله عظيم؛ وهل يكب الناس في جهنم إلا حصائد ألسنتهم، وأهل الصراط المستقيم كفّوا ألسنتهم عن الباطل؛ وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، ومنه فحفظ اللسان إنما يكون عن الباطل، أما إذا كان الكلام في حينه؛ عندها يستلزم إطلاقه.

وقد تناولت الأمثال الشعبية الجزائرية موضوع الكلام والصمت ببراعة في التصوير؛ وصدق في التعبير؛ وبلاغة في الأسلوب، كل ذلك ما بين الحكمة الرادعة والسخرية اللاذعة، وقد اتسمت بطابعها الأخلاقي القويم الذي ينسجم وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف؛ فلا تنافر ولا تناقض بينهما؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة الثقافة الشعبية الجزائرية.

وبهذا أكون قد أنهيت ما أقدمت عليه من دراسة تحليلية لموضوع الكلام والصمت في الأمثال الشعبية الجزائرية؛ مساهمة مني ولو متواضعة في التعامل مع ألطف صور التعبير في تراثنا الشعبي.

ومما يتعذّر على أي باحث هو الإحاطة بكل ما يقتضيه البحث؛ فمجال الأمثال الشعبية الجزائرية أوسع من أن يحاط به؛ فجلها ينتظر الجمع والتحليل لمضامينها والتشريح لمعانيها؛ فلا بد من تآزر الجهود للحفاظ على هذا الإرث الحضاري والكنز الثقافي ذو القيمة الكبيرة.

وفي الختام أرجو الله أن أكون قد وفقت للصواب؛ وأن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم؛ وبالله التوفيق وهو المستعان؛ وصلّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم صلاة وسلاما تبقيان بقاء سرمديا.

وما من كاتب إلا ويفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

ملحق الأمثال الشعبية الجزائرية

ملحق الأمثال الشعبية الجزائرية مرتبة حسب الحروف الهجائية

الألف:

- إِذَا كَانْ الْكْلاَمْ مْنَ الْفَضَّة؛ الصَّمْتْ مْنَ الذَّهَبْ
- ازَّرْعَهْ يَنْبَتْ
- أَصْلْ الْعَدَاوَة الْمْزَاحْ
- اعْقُبْ عْلَى وَادْ هَدَّارْ، وْمَا تُعْقُبْشْ عْلَى وَادْ سَاكَتْ
- اعْقُبْ عْلَى وَادْ يْجَرْجَرْ، وْمَا تُعْقُبْشْ عْلَى وَادْ سَاكَتْ
- اَنْجِيبْ وَحْشْ بَسْنَانَهْ يْمَزَّقْنِي، وَلاَّ إِنْسَانْ بَلْسَانَهْ يْجَرَحْنِي
- أَمْلَسْ فِي وَجْهَكْ؛ احْرَشْ فِي قْفَاكْ

التاء:

- تَضْحَكْ عْلَى الْمَخْلُوقْ؛ وَإِلاَّ تَضْحَكْ عْلَى الْخَالَقْ؟
- تَقْلاَبْ الْحَجَارْ يْجِيبْ الْعَارْ
- تَمْشِي سْنِينْ السُّوءْ وْتَبْقَى الْمَعَايْرَة

الثاء:

- ثْلاَثَة عْدْيَانِي: عَيْنِي، وَدْنِي، وَلْسَانِي... لُو كَانْ مَا هُمَا نَدْخُلْ قَبْرِي هَانِي

الجيم:

- الْجَمَلْ يْشُوفْ حْدَبَّةْ خُوهْ
- جُوزْ عْلَى الْوَادْ الْهَرْهَارْ؛ لاَ تْجُوزْ عْلَى الْوَادْ الصَّامَتْ

الحاء:

- حْدِيثَكْ لاَ تَنْسَاهْ
- الْحَصِيدَة وَلاَّتْ غْبَارْ؛ وِيحَكْ يَا رَبَّاحْ الْعَارْ
- الْحَقّْ حَقّْ؛ وَالْكْذَبْ إِلاَّ تَسْفِيهْ

الخاء:

- خُبْزْ الْعَفَانَة؛ وَلَّا خُبْزْ الْمَنَّانَة
- خُذْ الْكَذَّابْ بَالنَّسْيَانْ

الدال:

- دَسَّاسْ الْحَاجَة مَا يَنْدَمْ

الذال:

- الذَّمَامْ وَالنَّمَّامْ مَا عَنْدْهُمْ مْقَامْ

الراء:

- رَاحُو سْنُونْ السُّوءْ؛ وْبْقَاوْ امْعَايَرْ السُّوءْ
- رَأْسْ مَالْ الرَّجَلْ كَلْمْتُو

السين:

- السَّاكَتْ عْلَى الْحَقّْ؛ كِالنَّاطَقْ بَالْبَاطَلْ

الشين:

- الشَّبْكَة تْعَايَرْ الْغُرْبَالْ وْتْقُولَّهْ عَيْنِيكْ كْبَارْ
- شَدّْ قَمْقُومَكْ؛ لَا حَدّْ يْلُومَكْ

الصاد:

- الصَّمْتْ حَكْمَة تُخْرَجْ مَنَّهْ الْحَكَايَمْ؛ لُو مَا تْصَمْصِيمْ وَلْدْ الْحَجْلَة مَا يْجِي الْحَنَشْ هَايَمْ

الضاد:

- ضَارَبْ النَّحْ

الغين:

- الْغَابَة بْوَذْنِيهَا، وَالسَّاحَة بْعَيْنِيهَا

الهاء:

- فْلاَنْ كِكْعَالَةْ السْلُوڤِي
- الْفُمْ قَاصَدْ وَالْقَلْبْ فَاسَدْ
- الْفُمْ الْمْزَمُومْ مَا تَدُّخْلُو ذَبَّانَة؛ وَالْفُمْ الْمْحَلُولْ تْعَشَّشْ فِيهْ
- الْفُمْ الْمْزَمُومْ مَا يَدُّخْلُو دَبَّانْ
- فِي الوَجْهْ مْرَايَا وَفِي الْظْهَرْ مْقَصْ
- فِي الوَجْهْ مَرْحْبَا؛ وْفِي الْقْفَا مَنْدْبَة

القاف:

- قَالَتْ مُوكَة: أَنَا خِيرْ مَنْ ثْلاَثَة: اللِّي قَالْ الْكَلْمَة وْمَا وَفَّاهَا؛ وَاللِّي دَارْ قَصْعَة وْمَا مْلاَهَا؛ وَاللِّي كْبَرَتْ بَنْتَهْ وْمَا اعْطَاهَا
- قُلْ الْقَمْحْ خِيرْ مْنَ الشْعِيرْ وْمَا يْحَاسْبَكْشْ اللهْ
- قُلْ كْلاَمْ الْخِيرْ، وَالاَّ سْكُتْ خِيرْ

الكاف:

- الْكَذْبْ مَا يَبْنِي الْخْيَامْ، وِإِذَا بْنَاهُمْ يْتَهَدْمُوا
- الْكَذْبْ مَا يْزِيدْ فِي الرَّجْلَة
- كِدَنَّابَةْ الْفَرُّوجْ، الرِّيحْ اللِّي جَا يَدِّيهَا
- كَسْرَةْ الْمْشْحَاحَة، وَلاَّ كَسْرَةْ الْمْنَّانَة
- الْكْلاَمْ كِالْبَارُودْ إِذَا خْرَجْ مَا يْوَلِّيشْ
- الْكَلْبْ إِذَا نْبَحْ مَا عَضْ مَا جْرَحْ
- كُلْ شِي يَبْرَا يَا هَبْرَة، وَكْلاَمْ الْعَارْ مَا يَبْرَا
- كَلْمَة انْتَاعْ رْجَالْ
- الْكَلْمَة رْصَاصَة إِذَا خَرْجَتْ مَا تَرْجَعْ
- كَلْمَة عْلِيهَا مَلَكْ، وُاخْرَى عْلِيهَا شِيطَانْ

- كَلْمَةْ "لَا لَا" ذْكَرْ، وْكَلْمَةْ "إِيهْ" أنْثَى
- كِالْمَنْشَارْ طَالَعْ يَاكُلْ هَابَطْ يَاكُلْ
- كَلْمَة مَنْ غِيرْ فُمَّكْ تَنَّفْعَكْ
- الْكَلْمَة مَيَّزْهَا قَبْلْ مَا تْخَرَجْ مَنْ فُمَّكْ لَا تْعُودْ لِكْ غَلْطَة

اللام:

- لَا تَضْحَكْ عْلَى اللِّي رَبِّي بْلَاهْ؛ يَعْفُ عَنَّهْ وْيَبْلِيكْ
- لْسَانْ الْعِيبْ مَا يْدِيرْ حْبِيبْ
- لْسَانَكْ حْصَانَكْ، إِذَا صُنْتَهْ صَانَكْ، وَإِنْ خُنْتَهْ خَانَكْ
- لْسَانَكْ سُلْطَانَكْ، صُنْتَهْ صَانَكْ، هُنْتَهْ هَانَكْ
- اللِّسَانْ لَحْلَاحْ، وَالْقَلْبْ ذَبَّاحْ
- لُو كَانْ مَا لْسَانِي مَا يْجِي الْحَنَشْ لَمْكَانِي
- اللِّي جْرَحْ الْقَلْبْ وَادْمَاهْ وَاشْ مَنْ عَيْنْ تَلْقَاهْ
- اللِّي ضْحَكْ يَلْحَقْ
- اللِّي فَاتْ عْلَى كَلْمَة، فَاتْ عْلَى رُوحْ
- اللِّيلْ بَوْذِينَاتُه، وَالنَّهَارْ بَعْوِينَاتُه
- اللِّي مَا يَقْدَرْشْ عْلِيهْ الشِّيطَانْ في عام، يديره القراض في ساعة

الميم:

- مْشَاتْ لَلْحَمَّامْ جَابَتْ اخْبَارْ عَامْ
- الْمَشْكُورْ مَقْعُورْ
- مْنَ الْحْبِيبْ لَلْحْبِيبْ حَتَّى يَنْقُلْهَا الدِّيبْ
- الْمُومْنِينْ عَنْدْ أَقْوَالْهَا

الهاء:

- الْهَدْرَة بِينْ اثْنِينْ، وَالثَّالَثْ مَا عَنْدَهْ وَدْنِينْ

الياء:

- يْخَلَّطْ شَعْبَانْ مْعَ رَمْضَانْ
- يْصَبُّ وْرَا الطَّاسْ
- يْقَرَّضْ بِينْ الْحْمَارْ وْعَلْفَهْ
- يْقُولْهَا اللِّسَانْ وْيْهْرَبْ تَحْتْ السِّنَانْ

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. باللغة العربية:

القرآن الكريم

- إبراهيم مصطفى. أحمد حسن زيات. حامد عبد القادر. محمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول ـــ تركيا، الطبعة الثانية، سنة 1392هـ ـــ 1972م.
- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق الأستاذ درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1418هـ- 1997م.
- ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد)، العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، د.ط، سنة 1402هـ- 1982م.
- ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر):
  - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، الطبعة الأولى، سنة 1999م.
  - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1410هـ ـــ 1990م.
- أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس)، البصائر والذخائر، تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ- 1992م.

❖ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

❖ أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.

❖ أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، لجنة التأليف والترجمة، سنة 1953م.

❖ أحمد بن عبد العزيز الحمدان، أحكام الموسيقى والغناء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، سنة 1412هـ- 1991م.

❖ أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة ـــ مصر، د.ط، سنة 1954م.

❖ إيميل ناصيف، من أروع ما قال الشعراء العرب الحكماء، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

❖ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، اللطائف والظرائف، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ - 1991م.

❖ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بـــحر)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

❖ الخوارزمي (أبو بكر محمد بن العباس)، الأمثال، تحقيق محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، سنة 1993م.

❖ الذهبي (الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان)، شرح الكبائر، جمع وتحقيق صلاح الدين محمود السعيد، شرح لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومتضمنة الحكم على الأحاديث من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1428 هـ - 2007م.

❖ رابح خدوسي:

- قاموس العالم في الأمثال والحكم، دار الحضارة للتأليف والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1995م.
- موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة للتأليف والنشر، الجزائر، د.ط سنة 1997م.
- موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة للتأليف والنشر، الجزائر، الطبعة الثالثة، سنة 2000م.

❖ الراغب الأصبهاني (أبو القاسم حسين بن محمد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

❖ روحي البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، سنة 2001 م.

❖ زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، راسم للدعاية والإعلام، د.ط، سنة 1406هـ.

❖ الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر):

- الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، د.ط، سنة 1947م.
- أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1996م.

❖ الزوزني (أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني)، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى سنة 1422هـ - 2002م.

❖ سعيد حوى، الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، الطبعة الثانية، سنة 1408 هـ - 1988م.

❖ سيد أحمد عداد، أحكام القرآن الكريم وتاريخه، مطبعة الفن، وهران – الجزائر، د.ط، د.ت.

❖ سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ــ سوريا، طبعة 1990م.

❖ السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد جاد المولى. علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، د.ط، د.ت

❖ الشافعي، ديوانه المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتقديم وتعليق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ط، سنة 1988م.

❖ عائض القرني، لا تحزن، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ- 2003م.

❖ عبد الباري محمد داود:

- اللسان ميزان بين الصمت والكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، سنة 2001م.
- فلسفة الصمت والكلام، مركز الإسكندرية للكتاب، سنة 2002م.

❖ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية الجزائر،د.ط، سنة 1992م.

❖ عبد الحميد مهدي، أمة القرآن، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ــ الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1403هـ ــ 1983م.

❖ عبد الرحمن المجدوب، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب، تصنيف نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ط، د.ت.

❖ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام، دار الوطن للنشر، الرياض، د.ط، سنة 1411هـ.

❖ عبد القادر صالح، الأمثال العربية، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ ــ 2002م.

❖ عبد الله البستاني، البستان، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1992م.

❖ علي بن أبي طالب، ديوانه، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة – الجزائر، د.ط، سنة 1989م.

❖ الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، د.ط، د.ت.

❖ الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

❖ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، سنة 1987م.

❖ القحطاني (سعد بن علي بن وهف)، حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مؤسسة الحرمين الخيرية، الطبعة السابعة عشرة، سنة 1416هـ.

❖ القيرواني (أبي علي الحسن بن رشيق)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق وشرح الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1403 هـ ــ 1983م.

❖ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

❖ مجيد طراد، الحكمة القول المأثور عبر العصور، مراجعة وتبويب الدكتور حسن عاصي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1413 هـ ، 1992م .

❖ محمد أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، وبهامشه تخريج الإمام الحافظ العراقي وبذيله كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء للإمام الغزالي وكتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للشيخ العيدروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1411 هـ، 1991 م.

❖ محمد إسماعيل صيني. ناصف مصطفى عبد العزيز. مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، سنة 1996م.

❖ محمد بن صالح العثيمين، الحقوق الإسلامية، جمع وترتيب، صلاح الدين محمود السعيد، مكتبة الإيمان بالمنصورة، د.ط، د.ت.

❖ محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ملخص تحقيقات الحافظ بن حجر والهيثمي والشيخين الألباني والأرناؤوط، مركز التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ - 2004م.

❖ محمد بن منصور، موسوعة روائع الأقوال من خلال الحكم والأمثال، دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2002م.

❖ محمد صالح المنجد، التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية، دار قاسم للنشر والتوزيع، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ.

❖ محمد الغزالي، خلق المسلم، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

❖ محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة ـــ رؤية لغوية إكلينيكية وانعكاساتها الاجتماعية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ـــ بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ - 1998م.

❖ محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1411هـ - 1990م.

❖ محمود بن الجميل، المختارة في الأخلاق والبر والصلة من صحيحة الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1421 هـ ـــ 2001 م.

❖ محمود المصري، أشرطة الساعة الصغرى والكبرى، دار الإمام مالك للكتاب، البليدة ـــ الجزائر، د.ط، سنة 1422هـ ـــ 2001 م.

❖ محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ط،د.ت.

- مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني ــ 700 حديث مشروحة، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، د. ط، د.ت.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد)، مجمع الأمثال، تحقيق الدكتور جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ، 2002م.
- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د.ت.
- نور الدين القاري (الحافظ أبي الحسن)، الأربعون القدسية، تحقيق طارق الطنطاوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، د.ط، سنة 1996م.
- النووي (أبو زكرياء يحي بن شرف)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محقق على منهج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مشتملة على تعليقات الشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه وعلق عليه محمود بن الجميل، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1425 هـ - 2004م.
- الوشاء، كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق د. يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1411 هـ ــ 1991م.
- وفاء الخناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، شركة سعيد رأفت للطباعة، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، سنة 1987م.

2. باللغة الأجنبية:

- Encyclopédique larousse ; librairie larousse ; 1979.
- Encyclopedia Britannica ; 1966 ; vol. 18.
- The encyclopedia American ; 1956 ; vol 22.

الفهرس

الفهـــــرس

الإهداء

التشكرات

المقدمة .....أ

المدخل: ماهية المثل

1.تعريف المثل لغة 10

2. تعريف المثل عند علماء العرب 12

1.2 تعاريف القدماء 12

2.2 تعاريف المحدثين 15

3. تعريف المثل عند علماء الغرب 20

الفصل الأول : جارحة اللسان بين الكلام و الصمت

1. تعريف جارحة اللسان 23

1.1 لغة 23

2.1 اصطلاحا 23

2. تعريف الكلام 24

1.2 لغة 24

2.2 اصطلاحا 25

3. تعريف الصمت 26

1.3 لغة 26

2.3 اصطلاحا 26

4. خطورة الكلمة والدعوة إلى حفظ اللسان 27

5. شروط الكلام 30

6. أقسام الكلام.....31
1.6 الكلام النافع 31
1.1.6 قراءة القرآن 32
2.1.6 ذكر الله عز وجل 34
3.1.6 الدعاء 36
4.1.6 الحمد والشكر 38
5.1.6 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 40
6.1.6 النصيحة 42
7.1.6 إفشاء السلام.....43
2.6 الكلام الضار 46
1.2.6 الغيبة 47
2.2.6 الكذب 49
3.2.6 شهادة الزور 52
4.2.6 الرّمي بالمعضلات وقذف المحصنات 53
5.2.6 النميمة 55
6.2.6 اليمين والحلف بغير الله 57
7.2.6 الوعد الكاذب والتماطل في الوفاء.....59
8.2.6 الفحش والسب وبذاءة اللسان 60
9.2.6 اللعن 64
10.2.6 التشدق وتكلف السجع والفصاحة والتقعّر.....67
11.2.6 الغناء.....69
12.2.6 السخرية والإستهزاء 72
13.2.6 المراء والجدال 73

14.2.6 ذو اللسانين 75
15.2.6 إفشاء السر 76
16.2.6 المن بالعطية 77
17.2.6 الكلام فيما لا يعني 78
18.2.6 المدح والتزكية 80
7. مدح الكلام وفضله على الصمت 83
8. مدح الصمت وفضله على الكلام 86
9 .بين الكلام والصمت 89

الفصل الثاني : الكلام و الصمت في الأمثال الشعبية الجزائرية

1. خطورة اللسان 94
2. الدعوة إلى حفظ اللسان 96
3. فضل حفظ اللسان 98
4. تمييز الكلام قبل التلفظ به 100
5. التروي قبل الكلام 103
6. حكمة الصمت 105
7. الحث على الصمت وتجنب الثرثرة 107
8. الصامت من الرجال والثرثار 109
9. المرأة والكلام 110
10. تجاهل كلام السفهاء 111
11. الغيبة وهتك الأعراض 117
12. النميمة والسعاية بين الناس..... 120
13. اللسان البذي..... 124
14. شناعة تتبع عورات الآخرين 126

15. السخرية والاستهزاء 128
16. المضايقات على سبيل المزاح 129
17. أثر الكلمة وتأثيرها في النفوس 132
18. خلود الكلام الجارح في الذاكرة 134
19. جرح اللسان 135
20. نذالة الكذب 136
21. إفتضاح الكذاب 138
22. التشدق والتكلف والتقعر 139
23. ذو الوجهين 141
24. مخالفة اللسان لما يضمره القلب 142
25. التدخل فيما لا يعني 144
26. الخطأ في فحوى الكلام 146
27. المدح والثناء 147
28. التفوه بالبلاهات و الأباطيل..... 149
29. تسرب الأحاديث و تفشي الأسرار..... 151
30. حفظ الأسرار..... 155
31. المن بالعطاء و الصدقة 157
32. الوفاء بالوعد و الالتزام بالعهد..... 158
33. احترام الكلمة 160
34. وجوب الالتزام بالكلمة 161
35. التحذير من ترك كلمة الحق 162
36. قول الحقيقة..... 163
37. النصيحة..... 165

الخـــــــاتمـــة 168
ملحق الأمثال الشعبية الجزائرية 172
قائمة المصادر و المراجع..... 178
الفهـــــــــرس 186